

بِنُوْا سِرَّ كَيْلِكُمْ

إهداء إلى الأمة المسلمة من أرض الشام المباركة



كتبه

أضعفه عباد الله وأوجههم إلى عفو

الله

محمد فاضل

خويدم العلماء وتراجم أقدام الفقراء

تهيد

الحمد لله الذي سواه لا يُحمَد، وغيره لا يُعبَد،
والصلاة والسلام على الهادي الأجد، والرسول المؤيد،
علة الخلق، وحبیب الحق، نبينا ومولانا وسيدنا محمد،
وعلى آله وأصحابه أصحاب الشرف المخلد، والمجد
الذي لا يُجحد، وعلى التابعين وتابعيهم ما طلع نجم
وتلألأ فرقد.

أمَّا بعد: فقد قضت الحكمة الإلهية أن يكون لكل أمة
أجل معدود، وحد محدود، يُظهره سبحانه في الأزمان
الخاصة به، والأوقات المؤجلة له، والأمة الإسرائيلية
مقضي إليها بالإفساد والعلو الكبير في الأرض.

والكتب الإلهية "التوراة والزبور والإنجيل والقرآن" مدارها على تلك الأمة، وإليها تُشير سائرُ خطوطها، وفيها تحاكُّ جُلُّ خيوطها، ومن تأملَ هَدْيَ الرَّسُولِ الأعظمِ ﷺ ظهرت له المعركة التي لا تزال ناشبة إلى هذه اللحظة بين الأمة المسلمة وبين الذين قص علينا الذكر الحكيم كفرهم ونفاقهم وتعنتهم وتعصّبهم للباطل، واستهزاءهم وخبائثة جبلّتهم، وعزّمتهم على التّمادي في العناد مرّة بعد أخرى على مرّ العصور، وتعاقب الدهور!

— فمن هم بنو إسرائيل؟

— وما طبيعة العلاقة بينهم وبين الشيطان؟ وما موقع دولة إسرائيل من هذه العلاقة؟

— من يحكم العالم في هذه المرحلة الراهنة؟

— من المقصود باليهود والنصارى في القرآن الكريم؟

– ما علاقة ميثاق الأمم المتحدة بالميثاق الذي أخذه الله
عليهم في الكتب السماوية؟

يا بني إسرائيل

خاطب المولى سبحانه بني إسرائيل في كتابه الكريم، وأقبل عليهم بندااء جليل بعد أن مهّدَ بين يدي ذلك بقصّة آدم وإبليس، فذكّرهم بنعمه وآلائه ليوفوا بعهده وميثاقه الذي أخذه عليهم، من توحيدهِ وعبادته وعدم الإشراف به، شكراً على تفضيله لهم، ورغبةً في العودة إلى مقام التّكريم. وقوله جل جلاله وعم نواله ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ﴾ خطابٌ لذريّة يعقوب، وفي ذرّيّته انحصرت الأُمّة اليهوديّة والنّصرانيّة، وقد خاطبهم بهذا الوصف دون أن يقول: يا أيّها اليهود والنّصارى؛ لأن من كان متّبعاً لدين اليهوديّة والنّصرانيّة من غير بني إسرائيل لا يُعتدُّ بهم أصلاً؛ لأنهم تَبَّعُ لبني إسرائيل، يسوقونهم إلى موارد التّلف والهلاك، فلو آمن بنو إسرائيل لآمن أتباعهم؛ إذ إنّ المقلد تَبَّعُ لمقلده؛ ولأنّ هذا الخطاب للتّذكير بنعم الله على أسلافهم، فكان لندائهم بعنوان

كونهم أبناء يعقوب وأعقابَه مزيدٌ مناسبةً لذلك، ألا ترى أنه لما ذُكِرُوا بعُنوان التّدين بدين موسى ذُكِرُوا بوصف "الَّذِينَ هَادُوا"، ولما ذُكِرُوا بعُنوان التّدين بدين عيسى ذُكِرُوا بوصف "النّصارى".

وتوجيه الخطاب إلى جميع بني إسرائيل يشملُ علماءهم وعامّتهم؛ لأنّ ما خُوطبوا به هو من التّذكير بعهد الله لهم، وعندما يكون الغرض من الخطاب التّنبية على علماءهم نجد القرآن يعنونهم بوصف ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أو ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أو ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وتخصيص القبيلة لبيان حقيقة الكتب المنزلة على الأمة الإسرائيلية خاصة إذ كان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وللإشعار بأن من دان الكتاب بعد نزول القرآن خرج عن وصف أهل الكتاب. وقد يُستغنى عن ذلك بكون الخبر المسوق مما يناسب علماءهم خاصّة، كقوله سبحانه: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ) فإذا جاء الخطاب بأسلوب شامل لعلمائهم
وعامّتهم صُرف إلى كل طائفة من الطائفتين ما هو
لائقُ بها. والتفطن لرتب البيان في موارد هذا النحو من
الخطاب في القرآن من مفاتيح الفهم وبوادي مزيد
العلم.

أخرج الإمام أحمد في المسند عن أبي ذر رضي الله عنه
قال: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه
في السماء إلا ذكر لنا منه علماً»¹ وفي هذا دليل على
أنه ﷺ ذكر لهم جميع العوالم العلوية والسفلية والمرئية
والغيبية حتى ذكر لهم عالم الطير وذكر لهم منه علماً
فهل يتصور العاقل بعد ذلك أن يكون رسول الله ﷺ
قد أهمل بيان بني إسرائيل وترك ذكرهم؟! بل الحق

1- رواه أحمد في مسنده، رقم: 21361.

الذي لا ريب فيه أنه ﷺ بين أمرهم على أكمل الوجوه يعلم ذلك كل من عقل وتبصّر وتفكر فيما جاء به ﷺ.

أخرج الحاكم في المستدرک عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يُحدّثنا عامة ليله عن بني إسرائيل لا يقوم إلا لعظيم صلاة¹. فانظر يا رعاك الله كيف أنّه من عادة النبي ﷺ أن يحدّث أصحابه عن بني إسرائيل بفترة زمنية طويلة من لياليه، وهذا إن دلّ فإنّما يدلُّ على خطر هؤلاء القوم، وفيه إرشاد للأمة بضرورة التّعرف على بني إسرائيل؛ وكما يقال: عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ لكن لتوقيه! ومن لم يعرف الشرَّ من الخير يقع فيه.

واليهود والنصارى قسمان:

1- رواه أحمد في مسنده، رقم: 19990؛ والبخاري في مسنده، رقم: 3596؛ والحاكم، رقم: 3432، وقال في مجمع الزوائد: إسناده صحيح.

قسمٌ لا علمَ له من جهة كتاب، وهؤلاء كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: لا يقع عليهم أهل الكتاب، بأن آباءهم كانوا غير أهل الكتاب، ومن غير نسب بني إسرائيل¹.

وقسمٌ له كتابٌ يعلم الحقُّ منه، وهم بنو إسرائيل، وكان مقرُّ خلافتهم في الأرض المقدَّسة، ثم تحوَّلوا قبيل البعثة بنحو ثلاثمائة عامٍ إلى جزيرة العرب، وآل أمرهم إلى أن صاروا ثلاثَ قبائل: قينقاع والنَّضير وقريظة، فنقض الثلاثة عهدهم مع رسول الله ﷺ، طائفةٌ بعد طائفةٍ، فجاس ﷺ خلال ديارهم، واستأصل قريظة وسبى نساءهم وذراريهم وأمر بإجلاء النَّضير وقينقاع.

وقد عبَّر تعالى عن مناهجهم بالأهواء؛ لأنَّ الهوى رأيٌّ ناشئ عن شهوةٍ، لا عن دليلٍ فقال: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ

1- الأمّ للشافعي 193/4.

أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ) ولهذا لم يُؤْت بالضمير الرَّاجع للملّة، وعبر
عنها بالاسم الظاهر، فشملت أهواؤهم المناهج التي
وضعوها واعتقدوا أنّها لا ينقضها شرعٌ آخر! وفُسّر
العلم هنا بالقرآن، وبالعلم بضلال القوم، والمعنى أنّ
القرآن هو الهدى، وما أنتم عليه ليس من الهدى؛ لأنّ
أكثره من الباطل، وتأكيدُ الجملة بضمير الفصل
وتعريفُ الجزأين يدلّ على الاختصاص والحصر،
وأضاف الأهواء إليهم لأنّها بدعهم وضلالاتهم، ولذلك
سُمِّي أصحاب البدع: أرباب الأهواء، وفي صيغة الجمع
(أَهْوَاءَهُمْ) إشارةٌ إلى كثرة اختلاف فرّقهم، وهذا يعني
أنّ ملّتهم مُبدّلةٌ مشوّبةٌ بالضلّالات، وأنّ ما هم عليه
شيءٌ حرّفوه ووضعوه، والواقع يشهد أنّ مناهجهم
كلّما دخلت في مجتمع تحوّل هذا المجتمع تلقائياً إلى

أحزاب متنافرة، وطبقات متباغضة، وطوائف مُتَحَاقِدَة،
تُفْتَتُ المجتمع، وهي تنوهم أَنَّها على الحقِّ.

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يدلُّ على
بُطْلان التَّقْلِيدِ، كما يدلُّ على أَنَّهُ لا يجوز إجراء
الأحكام على من تبعهم من أهل القبلة إلَّا بعد بلوغ
العلم أولاً، فثبت بذلك العُذر بالجهل.

مقدمة

الحمدُ لله الذي ألزَمَ الحُجَّةَ بالقادةِ من المرسلين، وأبْهَجَ المنهجَ بالسَّادةِ من المحقِّقين، والصَّلَاةَ والسَّلَامَ على سيِّدِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ وجامعِ شَمْلِ الدِّينِ وعلى آلِهِ وصحابتهِ المنتخبين، أمَّا بعد:

فإنَّ الأُمَّةَ الإِسْرَائِيلِيَّةَ ضاربةٌ في القِدَمِ، ومن خفاياها أنَّ البَشَرَ لَنْ يَهْتَدُوا إلى حَقِيقَتِهَا إلَّا إذا عرفوا من أين بدأتْ؟ وكيف سارتْ؟ ولماذا سارت في المسار الذي سارت فيه؟ ولن يفهموا ما يحدث إلَّا إذا عرفوا ما حَدَثَ ورجعوا إلى الأَصْلِ، ولم ينشغلوا بالتَّفْرِيعاتِ والتَّفَصِيلاتِ والسِّفاسِفِ الَّتِي نَفَثَهَا بنو إِسْرَائِيلَ في أذْهَانِهِمْ، ولو لم يكن موسى عليه السلام مَعْصُومًا بالأمر الإلهيِّ، لا يُذْهِلُهُ عنه شيءٌ لا نطلق هائمًا على وجهه في

الأرض بحثاً عن حجم البقرة ولونها وشكلها وسنّها،
حتّى يظفر بها؛ فإذا حقّق لبني إسرائيل ما يريدون؛
يكون قد نسي ما يريد! وإذا كان القرآن الكريم هو
البيان النهائي من الخالق إلى الخلق، وفيه تبيان كلّ
شيء، فإنّ الصّادق المصدوق ﷺ هو المبين عن مراد الله
فيما شرع من معاني دينه وأحكامه التي حكم بها،
وآثاره التي بثّها، والقصص التي قصّها، وكل خروج
عن هدي الرسول الأعظم ﷺ في تحديد الأمة
الإسرائيلية هو عبث ضائع، وانحراف عن المسار يُفضي
إلى ضلال عن فهم الكتاب، ويوقع في متاهة لا مخرج
منها.

نفاق بني إسرائيل

استقرَّ في أفهام النَّاسِ أَنَّ مفهوم النِّفَاق بعيدٌ عن أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى، وقد ساعد على ذلك تصوُّر شخصيَّة عبد الله بن أبي بن سلول، التي غَدَت تلازم خيال المسلم حين يتلو الآياتِ النَّاطقةَ بأحوال المنافقين، والحقيقة أنَّنا التفتنا إلى الفرع وغاب عنَّا الأصل! فأصل النِّفَاق هو نفاقُ أحرار بني إسرائيل الذين تظاهروا بالإسلام عند مقدِّمه عليه الصَّلَاة والسَّلَام إلى المدينة، وغرَّروا أتباعَهُم ليصنعوا صنيعَهُم! وهم أصل الشرور في كلِّ زمانٍ، وهم أصحاب الخبرة الطَّويلة في النِّفَاق والطَّعن في الدِّين، وإدخال العقائد الباطلة فيه، كما تشير إلى ذلك الآيات التَّالية:

(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)۞.

(وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِرُوا ءَاخِرَهُ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)۞.

(قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ * وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ)۞.

وكان غرض كبار منافقي أهل الكتاب أن يشكّلوا جيشاً لتخذيل المؤمنين في الشّدائد، كما حصل يوم أحد، حين تخلف المنافقون عن الغزوة، فدعا رسولُ الله ﷺ على أهل الكتاب وقال: (اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ

يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ
رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
إِلَهَ الْحَقِّ¹.

ومن كبراء منافقي بني إسرائيل: كِنَانَةُ بْنُ صُورِيًّا،
ورافع بن حُرَيْمَةَ، وزيد بن اللَّصِيْتِ، وهو الَّذِي قَالَ
حِينَ ضَلَّتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَزْعَمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَأْتِيهِ
خَبْرُ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: (وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ
عَلَيْهَا، فَهِيَ فِي هَذَا الشَّعْبِ قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ
بِزِمَامِهَا) فَذَهَبَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدُوهَا
كَذَلِكَ². وَمِنْهُمْ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ التَّابُوتِ: وَهُوَ الَّذِي

1- مسند الإمام أحمد، حديث رقم 15492، عن عبد الله الزُّرْقِيِّ رضي الله عنه مرفوعاً، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجال أحمد رجال الصحيح، ورواه الحاكم وصححه، رقم: 1868، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

2- سيرة ابن هشام، 2/ 523، عن عاصم بن عمر بن قتادة.

بُعث لموته ريحٌ شديدةٌ عند مرجع رسول الله ﷺ من تبوك فقال: (بُعِثَ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ)¹ فلما قدموا المدينة وجدوا رِفاة قد مات في ذلك اليوم. وهناك نفر من بني إسرائيل غير هؤلاء امتهنوا التَّفَاق بعد عصر النُّبُوَّة؛ ليدُسُّوا سمومهم في دين الإسلام متبعين خطوات وليهم إبليس.

قال الإمام القرطبي في تفسير قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: "قال علماءنا: وفي هذه الآية دليلٌ وتنبيةٌ على الاحتياط فيما يتعلّق بأمر الدين والدُّنيا، واستبراء أحوال الشُّهود والقُضاة، وأنَّ الحاكم لا يعمل على ظاهر أحوال النَّاس وما يبدو من إيمانهم وصلاحهم حتّى يَبْحَثَ عن باطنهم؛ لأنَّ الله تعالى بيّن

1- صحيح مسلم، رقم: 2782، عن جابر بن عبد الله مرفوعاً، واللفظ له؛ وصحيح ابن حبان، رقم: 6500.

أحوال النَّاسِ وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ قَوْلًا جَمِيلًا وَهُوَ يَنْوِي قَبِيحًا، فَإِنْ قِيلَ: هَذَا يِعَارِضُهُ قَوْلُهُ السَّلَامَةُ: (أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)¹ الْحَدِيثَ، وَقَوْلُهُ: (وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ)² فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، حَيْثُ كَانَ إِسْلَامُهُمْ سَلَامَتُهُمْ، وَأَمَّا وَقَدْ عَمَّ الْفَسَادُ فَلَا، قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. قُلْتُ³: وَالصَّحِيحُ أَنَّ الظَّاهِرَ يُعْمَلُ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ خِلَافُهُ؛ لِقَوْلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: (إِنَّ أَنَا سَاءُ كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ،

1- صحيح البخاري، رقم: 392؛ وصحيح مسلم، رقم: 32.

2- صحيح البخاري، رقم: 6967؛ وصحيح مسلم، رقم: 1713، كلاهما عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً.

3- القائل: هو القرطبي.

فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقرّبناه، وليس إلينا من سرّيته شيء، الله يحاسبه في سرّيته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدّقه وإن قال: إن سرّيته حسنة¹ انتهى كلام القرطبي².

وقال صاحب التّحرير والتّنوير³ في تفسير قوله تعالى (يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ): "وهذه الآية إيدان للمنافقين بأنّ النّفاق يُوجب جهادهم قطعاً لشأفتهم⁴ من بين المسلمين، وكان

1- صحيح البخاري، رقم: 2641؛ والسنن الكبرى للنسائي، رقم: 16850، وهو حديث موقوف.

2- تفسير القرطبي: 16/3.

3- صاحب التّحرير والتّنوير هو ابن عاشور، واسمه محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: 1393هـ.

4- يقال استأصل الله شأفتهم، أي أذهبهم كما تذهب الشأفة، وهي قرحة تكون في أسفل القدم تُكوى فتبرأ.

رسول الله ﷺ يعلمهم ويعرفهم لحذيفة بن اليمان، وكان المسلمون يعرفون منهم من تكرر بوادر أحواله وفلتات مقاله، وإنما كان النبي مُمسكاً عن قتلهم سداً لذريعة دخول الشك في الأمان على الداخلين في الإسلام كما قال لعمر: (لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)¹؛ لأن العامة والغائبين عن المدينة لا يبلغون بعلمهم إلى معرفة حقائق الأمور الجارية بالمدينة، فيستطيع دعاة الفتنة أن يشوهوا الأعمال النافعة بما فيها من صورةٍ بشيعةٍ عند من لا يعلم الحقيقة، فلما كثر الداخلون في الإسلام، واشتهر من أمان المسلمين ما لا شك معه في وفاء المسلمين، وشاع من أمر المنافقين وخيانتهم ما تسامعت القبايل، وتحققه المسلم والكافر، تمحضت المصلحة في استئصال شأفتهم، وانتفت ذريعة

1- صحيح البخاري، رقم: 4905؛ وصحيح مسلم، الرقم: 2584، كلاهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً.

تَطَّرُكَ الشُّكُّ فِي أَمَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَلِمَ اللَّهُ أَنَّ أَجَلَ
رَسُولِهِ _عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام_ قَدْ اقْتَرَبَ، وَأَنَّهُ إِنْ
بَقِيَتْ بَعْدَهُ هَذِهِ الْفِتْنَةُ ذَاتَ الْفِتْنَةِ تَفَاقَمَ أَمْرُهَا، وَعَسَرَ
تَدَارُكُهَا، وَاقْتَدَى بِهَا كُلُّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ، لَا جَرَمَ
أَذْنَهُمْ بِحَرْبٍ؛ لِيَرْتَدِعُوا وَيُقْلِعُوا عَنِ النِّفَاقِ، وَالَّذِي
يُوجِبُ قِتَالَهُمْ أَنَّهُمْ صَرَّحُوا بِكَلِمَاتِ الْكُفْرِ، أَيْ صَرَّحَ
كُلُّ وَاحِدٍ بِمَا يَدُلُّ عَلَى إِبْطَانِهِ الْكُفْرَ، وَسَمِعَهَا الْآخَرُونَ
فَرَضُوا بِهَا، وَصَدَرَتْ مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ تَدُلُّ
عَلَى أَنَّهُمْ مُسْتَحْفُونَ بِالذِّينِ، وَقَدْ تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ
بِقَرَبِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَعَلَّ مِنْ حِكْمَةِ الْإِعْلَامِ بِهَذَا
الْجِهَادِ تَهْيِئَةَ الْمُسْلِمِينَ لِجِهَادِ كُلِّ قَوْمٍ يَنْقُضُونَ عُرَى
الْإِسْلَامِ وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، كَمَا فَعَلَ الَّذِينَ
مَنْعُوا الزَّكَاةَ وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا، وَإِنَّمَا الزَّكَاةُ حَقٌّ

الرَّسُولِ فِي حَيَاتِهِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا نِفَاقٌ مِّن قَادَتِهِمُ اتَّبَعَهُ
دِهْمًا وَهُمْ " اهـ¹.

وقد أشار ﷺ إلى قادة الفتنة والنفاق الذين فرقوا الأمة
على ثنتين وسبعين وأخبر عن تلبسهم بالدين وأمر
بقتلهم كما جاء في مسند أبي يعلى ومجمع الزوائد عن
أنس بن مالك أن رجلاً كان يغزو مع رسول الله ﷺ
فإذا رجع وحط عن رحله عمد المسجد فجعل يصلي
فيه فيطيل الصلاة حتى جعل أصحاب النبي ﷺ يرون له
فضلاً عليهم فمر يوماً والنبي ﷺ قاعد في أصحابه،
فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله هو ذاك الرجل
فإما أرسل إليه وإما جاء من قبل نفسه فلما رآه رسول
الله ﷺ مقبلاً قال: (والذي نفسي بيده إن بين عينيه
سفعة من الشيطان) فلما وقف على المجلس قال له
رسول الله ﷺ: (أقلت في نفسك حين وقفت على

1- التحرير والتنوير: 267/10.

المجلس: ليس في القوم خير مني؟ قال: نعم، ثم انصرف
فأتى ناحية من المسجد فنخط خطأً برجله ثم صفّ
كعبيه فقام يصلي، فقال رسول الله ﷺ: (أيكم يقوم إلى
هذا فيقتله؟) فقام أبو بكر فقال رسول الله ﷺ: (أقتلت
الرجل؟) فقال: وجدته يصلي فهبته، فقال رسول الله
ﷺ: (أيكم يقوم إلى هذا فيقتله؟) فقال عمر: أنا، وأخذ
السيف فوجده يصلي فرجع، فقال رسول الله ﷺ
لعمر: (أقتلت الرجل؟) فقال: يا رسول الله وجدته
يصلي فهبته، فقال رسول الله ﷺ: (أيكم يقوم إلى هذا
يقتله؟) قال علي: أنا، قال رسول الله ﷺ: (أنت له إن
أدركته) فذهب علي فلم يجده فقال رسول الله ﷺ:
(أقتلت الرجل؟) قال: لم أدر أين سلك من الأرض!
فقال رسول الله ﷺ: (إن هذا أول قرن خرج في أمي
لو قتله ما اختلف في أمي اثنان إن بني إسرائيل تفرقوا
على واحد وسبعين فرقة وإن هذه الأمة ستفترق على

ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة) فقلنا:
يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال: (الجماعة)¹ والمراد
بالجماعة: السواد الأعظم وما عليه الجمهور من
الصحابة والتابعين والسلف الصالح أهل المذاهب
الفقهية والعقدية التي نقضتها المدارس النجدية
الشيطنانية.

1- مسند أبي يعلى، رقم: 4127.

مرحلة الملك الجبري^١

أخرج الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة) ثم سكت¹.

1- مسند الإمام أحمد، رقم: 18406، أول مسند الكوفيين، عن حذيفة مرفوعاً؛ ومسند البزار، رقم: 2796؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد 5/189: ورجاله ثقة.

لقد بيّن رسولُ الله ﷺ في هذا الحديث الأَطوارَ الَّتِي تَمُرُّ
بها أُمَّتُه وهي:

1. مرحلةُ النَّبوَّةِ.

2. مرحلةُ الخِلافةِ الرَّاشِدةِ.

3. مرحلةُ المَلِكِ العاضِّ، أو الخَيْرِ الَّذِي فِيهِ دَخَنٌ، وهي
أطولُ المراحلِ الزَّمَنِيَّةِ، حيثُ امتدَّتْ إلى سقوِطِ الدَّولةِ
العُثمانيَّةِ.

4. مرحلةُ الشَّرِّ المحضِ وقد بدأتْ منذُ تأسيسِ النِّظامِ
العالميِّ الدوليِّ بقيادةِ بني إِسرائيلَ، وهي مرحلةُ المَلِكِ
الجبريِّ وأَشْرَاطِ السَّاعةِ والسِّنِّينِ الخِداعةِ والعلوِّ الكَبيرِ
لبني إِسرائيلَ في الأَرْضِ.

5. خِلافةٌ على منْهَاجِ النَّبوَّةِ.

ومرحلةُ الجبريَّةِ الَّتِي نشهدها هي أخطرُ مرحلةٍ تُمرُّ بها
الأُمَّةُ المحمَّديَّةُ، وَمَنْ نجا مِنْهَا نجا من فِتْنَةِ الدَّجَالِ، كما
جاءَ في صحيحِ ابنِ حَبَّانَ من حديثِ حُذيفةَ رضي اللهُ

عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَحَوْفٌ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ فِتْنَةٍ صَغِيرَةٍ وَلَا كَبِيرَةٍ إِلَّا تَتَّضِعُ لَفِتْنَةِ الدَّجَالِ، فَمَنْ نَجَا مِنْ فِتْنَةٍ مَا قَبْلَهَا نَجَا مِنْهَا، وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ مُسْلِمًا، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: كَافِرٌ مُهْجَأَةً: ك ف ر)¹.

هذه المرحلة الغامضة التي نعيشها اليوم استدعت نزول سيدنا جبريل عليه السلام متمثلاً بصورة رجلٍ على النبي ﷺ وهو في جمعٍ من الصحابة الكرام! والملاحظ أن الحديث لم يرد فيه ذكر الدجال، أعظم فتنة في الأرض².

1- صحيح ابن حبان، رقم: 6807؛ ومسند البزار، رقم: 2807.

2- فيه إشارة إلى حديث جبريل عليه السلام الذي أخرجه البخاري ومسلم، وسأتي على ذكره قريباً.

القرآن الكريم

أخبر النبي ﷺ أن أُمَّتَهُ سُنْفَتَنُ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَرْشَدَهَا إِلَى التَّمَسُّكِ بِمِيرَاثِهَا الْأَصِيلِ، أَلَّا وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ فقد روى البزار وأبو يعلى وأحمد واللفظ له عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أتاني جبريل فقال: يا محمد إن أمتك مختلفة بعدك قال: فقلت له: فأين المخرج يا جبريل؟ قال: فقال: كتاب الله تعالى، به يقصم الله كل جبار، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك - مرتين - قول فصل وليس بالهزل، لا تختلقه الألسن ولا تفتن أعاجيبه، فيه نبأ ما كان

قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما هو كائن بعدكم)¹
وروى الشيخان عن طَلْحَةَ بنِ مُصَرِّفٍ قال: سألت
عبد الله بن أبي أوفى: هل كان النبي ﷺ أَوْصَى؟ فقال:
لا، فقلت: كيف كُتِبَ على النَّاسِ الوصِيَّةُ - أو أُمِرُوا
بالوصية؟ - قال: أَوْصَى بكتابِ اللهِ². وفي رواية
للترمذي والبيهقي والدارمي والبخاري عن علي رضي الله
عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنها ستكون
فتنة) قال: قلت فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال:
(كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما
بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من يردّه من جبار قصمه
الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله

1- رواه الإمام أحمد في مسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً،
رقم: 704، وأبو يعلى في مسنده عن علي بن أبي طالب مرفوعاً، رقم: 367،
والبخاري في مسنده عن علي بن أبي طالب مرفوعاً، رقم: 834.

2- صحيح البخاري، رقم: 2740؛ وصحيح مسلم، رقم: 1634، كلاهما
عن عبد الله بن أبي أوفى مرفوعاً.

المتين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم الذي لا تزيع به الأهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن ردّ ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً، من قال به صدق ومن عمل به أُجرٍ ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم)¹.

وأرشد ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى التَّئِبِ والتَّحَقُّقِ والتَّجَرُّدِ والسُّؤَالِ والنَّظَرِ عَلَى نَحْوِ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: (نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى؟ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي)² والمسلم اليوم إذا أراد أن يتحقق في قضية بني إسرائيل

1- سنن الترمذي، رقم: 2906؛ شعب الإيمان، رقم: 1788؛ سنن الدارمي،

رقم: 3374؛ مسند البزار رقم: 752.

2- البخاري رقم: 3372 ورقم: 4573؛ ومسلم، رقم: 151.

أهل الكتاب فلا بد أن ينطلق من الشك في حقيقتهم
وفي حقيقة إيمانهم بالبعث والنشور لأنَّ دليلَ المرءِ
فعلُهُ، ولهذا كان إبراهيم عليه السلام إماماً للنَّاسِ كافَّةً لا
للمتقين فَحَسْبُ... .

حديث جبريل عليه السلام

اشتمل الحديثُ على أصول الدِّين وكُلِّيَّاته، وتشكَّلت فيه معالمُ الدِّين الأربعةُ وهي: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ، وأُشراطُ السَّاعةِ، وقد جعل ﷺ كُلَّ ذلك وحدةً واحدةً، وقضيَّةً مترابطةً لا تنفصل ولا تتجزأ.

وإذا كان مفتاح العلم السؤال فإن جبريل عليه السلام قد صدرَ منه السؤال، ومع ذلك سمَّاه مُعلِّماً - يُعلِّمُ النَّاسَ دينهم -؛ إذ إنَّ الفائدةَ من الحديثِ انبنتْ على السؤالِ والجوابِ معاً، فالسُّؤالُ نصفُ العلمِ، وهذا الحديثُ يصلحُ أن يقالَ له: أساسُ الدِّينِ؛ لما تضمَّنه من الفقهِ والسُّؤالِ والنَّظَرِ والبحثِ عن الحَقِّ واليقينِ.

وللحديثِ رواياتٌ عديدةٌ نذكر منها:

1- رواية أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين واللفظ للبخاري: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: (الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: (الْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، تُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: (الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: (مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأَحْدِثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَ الْحَفَاةُ الْعِرَاةُ رَعَوْسَ النَّاسِ، فَذَلِكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ)

الآية [لقمان: 34]) ثُمَّ انصرف الرجلُ، فقال: (رُدُّوا عليَّ) فأخذوا ليرُدُّوا، فلم يَرَوْا شيئاً، فقال: (هذا جبريلُ جاء ليُعَلِّمَ النَّاسَ دينَهُم) ¹.

2- وفي روايةٍ لمسلمٍ: (وَإِذَا رَأَيْتَ الحُفَاةَ العُرَاةَ الصُّمَّ البُكْمَ مُلُوكَ الأَرْضِ، فذاك مِنْ أَشْرَاطِهَا) وفيها: (أرادَ أَنْ تَعَلَّمُوا؛ إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا) ².

3- روايةُ عُمَرَ بنِ الحُطَّابِ رضي اللهُ عنه في صَحِيحِ الإمامِ مسلمٍ: بينما نحن عند رسولِ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ، إذ طلعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثِّيابِ، شديدُ سوادِ الشَّعرِ، لا يُرى عليه أثرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إلى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رِكْبَتَيْهِ إلى رِكْبَتَيْهِ، ووضَعَ كَفَّيْهِ على فِخْذَيْهِ، وقال: يا مُحَمَّدُ أخبرني عن

1- صحيح البخاري، رقم: 4777.

2- صحيح مسلم، رقم: 10.

الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) قال: صدقت، قال: فعجبنا له، يسأله، ويصدقّه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) قال: فأخبرني عن الساعة، قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: (أن تلد الأمة ربّتها، وأن ترى الحفاة العرّاة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)، قال: ثم انطلق فلبث ملياً، ثم قال لي: (يا عمر أتدري من

السَّائِلُ؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فإنه جبريلُ أتاكم يُعلِّمكم دينكم)¹.

4- رواية ابن عمر رضي الله عنهما في مُصَنَّف ابن أبي شيبة: كُنَّا عند رسول الله ﷺ، فَأَتَاه رَجُلٌ جَيِّدُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، حَسَنُ الْوَجْهِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (وعليك) فقال: يا رسول الله، أَدْنُوْ مِنْكَ؟ قَالَ: (أُدْنُ) فَقَلْنَا: مَا رَأَيْنَا كَالْيَوْمِ قَطُّ رَجُلًا أَحْسَنَ ثَوْبًا، وَلَا أَطْيَبَ رِيحًا، وَلَا أَحْسَنَ وَجْهًا، وَلَا أَشَدَّ تَوْقِيرًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَدْنُوْ مِنْكَ؟ قَالَ: (نعم) فَدَنَا دُنُوهُ، فَقَلْنَا مِثْلَ مَقَالَتِنَا، ثُمَّ قَالَ لَهُ الثَّلَاثَةُ: أَدْنُوْ مِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (نعم) حَتَّى أَلْزَقَ رَكْبَتَيْهِ بِرَكْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَقِيْمُ الصَّلَاةِ، وَتَوَاتِي الزَّكَاةِ، وَتَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتَحْجُّ الْبَيْتِ، وَتَغْتَسِلُ مِنْ

1- صحيح مسلم، رقم: 8.

الجنابة) قال: صدقت، فقلنا: ما رأينا كاليوم قط رجلاً،
والله لكأنه يُعلمُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم¹.

5- رواية ابن عباس رضي الله عنهما في مُسند الإمام
أحمد: جلس رسول الله ﷺ مجلساً له، فأتاه جبريلُ،
فجلسَ بين يدي رسول الله ﷺ، واضعاً كفيه على
ركبتي رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، حدّثني ما
الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ: (الإسلامُ أن تُسَلِمَ
وَجْهَكَ لِلَّهِ، وتشهدَ أن لا إلهَ إلاَّ الله وحده لا شريك
له، وأنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله) قال: فإذا فَعَلْتُ ذلك
فقد أسَلَمْتُ؟ قال: (إذا فَعَلْتَ ذلك، فقد أسَلَمْتُ)،
قال: يا رسول الله، فحدّثني ما الإيمان؟ قال: (الإيمانُ أن
تؤمنَ بالله، واليومِ الآخرِ، والملائكةِ، والكتابِ،
والنبيّين، وتؤمنَ بالموت، وبالحيّاة بعدَ الموت، وتؤمنَ

1- رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، رقم: 14696 ورواه في موضع آخر مطولاً
رقم: 30429.

بالجنة والنار، والحساب، والميزان، وتؤمن بالقدر كله
 خيره وشره) قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال:
 (إذا فعلت ذلك فقد آمنت) قال: يا رسول الله، حدثني
 ما الإحسان؟ قال رسول الله ﷺ: (الإحسان أن تعمل
 لله كأنك تراه، فإنك إن لم تره فإنه يراك) قال: يا
 رسول الله، فحدثني متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ:
 (سبحان الله في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا هو:
 (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
 الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي
 نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ولكن إن
 شئتَ حدثتك بمعالم لها دون ذلك) قال: أجل يا
 رسول الله، فحدثني، قال رسول الله ﷺ: (إذا رأيت
 الأمة ولدت ربّتها -أو ربّها- ورأيت أصحاب الشاء
 تطاولوا بالبنيان، ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا
 رعوَسَ النَّاسِ، فذلك من معالم الساعة وأشراطها) قال:

يا رسول الله، ومن أصحابُ الشَّاءِ والحفَاةُ الجِياغُ
العالةُ؟ قال: (العَرَبُ)¹.

فَمَنْ هُم الحفَاةُ العِراةُ الَّذين ذُكِرُوا في معالمِ السَّاعةِ
وأشراطها في حديث سيدنا جبريل عليه السلام، وجُعِلَتْ
معرفتهم من الأمور المتعلقة بأمر الدين؟

قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَاقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ
الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ
الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ
بِهَادِي الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا
فَهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ وفي هذه الآيات نعتهم الحق تعالى
بالصم والعمى وأشار إليهم المفسر الأعظم والمبين

1- رواه الإمام أحمد، رقم: 2924.

الأكرم ﷺ في حديث سيدنا عمر بن الخطاب من رواية محمد بن نصر المروزي حين ذكر أشراف الساعة فقال: (أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الصم البكم العمي الحفاة رعاء الشاة يتناولون في البناء ملوك الناس) فقام فانطلق، فقلنا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين نعت؟ قال: (هم العرب)¹.

وهذه الحادثة كانت في آخر حياة النبي ﷺ كما ورد ذلك في رواية ابن منده في كتاب الإيمان بإسناده الذي على شرط مسلم من طريق سليمان التيمي في حديث عمر، أوّله: "أن رجلاً في آخر عمر النبي ﷺ جاء إلى رسول الله ﷺ" فذكر الحديث بطوله²، وآخر عمره: يُحتمل أن يكون بعد حجة الوداع، فإنها آخر سفراته، ثم بعد قدومه بقليل دون ثلاثة أشهر مات ﷺ، فجبريل

1- تعظيم قدر الصلاة للمروزي 373/1.

2- كتاب الإيمان لابن منده: 144/1.

السَّيِّئَاتِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، يَشِيرُ إِلَى مَرِحَلَةٍ جَدِيدَةٍ تَتَعَلَّقُ بِالْحُفَاةِ الْعُرَاةِ، يَعُودُ فِيهَا الْإِسْلَامُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، وَجَبْرِيلُ السَّيِّئَاتِ يَسْتَخْبِرُ عَنْ مَرِحَلَةٍ لَمْ يَأْتِ زَمْنُهَا بَعْدُ.

وَالْحَدِيثُ يَرْبِطُ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ بَيْنَ الْحُفَاةِ الْعُرَاةِ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ، وَفِيهِ رِسَالَةٌ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ لِيُبْحَثَ عَنِ الْحُفَاةِ الْعُرَاةِ، وَيَعْرِفَ حَقِيقَتَهُمْ، فَلَا يُمْكِنُ فَهْمُ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْمَرِحَلَةِ بَعِيدًا عَنْ فَهْمِ وَقَعَهُمْ؛ إِذْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ وَأَضْمَرُوهُ، وَخَاصَمُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّينِ.

وَجَاءَ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحَّاحِينَ: "قَالَ: مَا الْإِسْلَامُ؟" قَالَ: (الْإِسْلَامُ: أَنْ تَعْبَدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا) ثُمَّ اسْتَبْعَ بِذِكْرِ التَّطْبِيقَاتِ السُّلُوكِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ مِنْ: إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْحَجَّ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ!!!

وَفِي رِوَايَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ: قَالَ: (الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَقَدْ

قال الرَّجُلُ العَرَبِيُّ بَظُورِهِ وَسَلِيْقَتِهِ حِينَ سَمِعَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ: هَذَا أَمْرٌ تَكْرَهُهُ المَلُوكُ¹! وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ آخَرَ مِنَ العَرَبِ: إِذْنٌ تَحَارِبُكَ العَرَبُ وَالعَجَمُ! لَقَدْ أَدْرَكَ وَفَهَمَ مَدْلُولَ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَأَنَّهَا ثَوْرَةٌ عَلَى الحَاكِمِينَ الظَّالِمِينَ! وَمِنْ هُنَا كَانَتْ لِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ جَدِيَّتُهَا فِي حَسِّ العَرَبِ؛ لِأَنَّهْمُ كَانُوا يَفْهَمُونَ مَدْلُولَ لُغَتِهِمْ جَيِّدًا! قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ ﴿إِنِ الحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

(وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ) النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ المَبِينُ وَهُوَ المَبْعُوثُ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ لِلنَّاسِ كَافَّةً لِإِقْرَارِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، فَهُوَ الحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أَيُّ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسولٍ إِلَّا حَاكِمًا مُطَاعًا بِإِذْنِ اللَّهِ،

1- دلائل التَّوْبَةِ لِأبي نَعِيمٍ: 282/1.

وقال تعالى في حق الأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ وفي الحديث: (كانت بنو
إسرائيل تسوسهم الأنبياء)¹ أي يتولون أمورهم
ويحملونهم على طريق الحق كما تفعل الحكام بالرعية
فكان كلُّ نبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل حاكماً، وهكذا
الأنبياء والرُّسل يُبعثون بكتابٍ يدْعُو، وسيفٍ يدفعُ؛
ليقيموا حكم الله في الأرض.

(وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ
البيت إن استطعتَ إليه سبيلاً) قال: "صدقت. فعجبنا
له يسأله ويصدِّقه". فإن قيل: كيف يسأله ويصدِّقه؟
والذي يسأل لا يقول: صدقت، والجواب: أنه أرادَ
الإشارة إلى أنه ليس كسائر السائلين، بل هو مرسلٌ من
الله عزَّ وجلَّ.

1- رواه البخاري، رقم: 3455؛ ومسلم، رقم: 1842.

قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وفي رواية (أن تعمل لله كأنك تراه فإنك إن لم تره فإنه يراك) فالإسلامُ عملٌ، والإيمانُ تصديقٌ، والإحسانُ رؤْيَةٌ أو كالرؤْيَةِ، فحقيقة الإسلام: الانقياد، وحقيقة الإيمان: الاعتقاد، وحقيقة الإحسان: الشُّهُود. والمولى سبحانه إذا أراد أن يوصل عبده إليه هداه إلى التسليم والانقياد له، وهو مقام الإسلام، ثمَّ يتوجَّهُ إليه بنور حلاوة الطمأنينة والتَّصديق وهو مقام الإيمان، ثمَّ يتوجَّهُ إليه بنور حلاوة المشاهدة وهو مقام الإحسان.

(فأخبرني عن السَّاعَةِ) وفي رواية للنَّسَائِيِّ: قال: يا مُحَمَّدُ أخبرني متى السَّاعَةُ؟ قال: فنكس فلم يُجبه شيئاً، ثمَّ أعاد فلم يُجبه شيئاً، ثمَّ أعاد فلم يُجبه شيئاً، ورفع رأسه فقال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السَّائل،

ولكن لها علامات تُعرف بها...¹ وفي هذا تنبيهٌ
للسؤال والنظر والبحث عن الحُفَاة العُراة باعتبار أَنَّهُمْ
من أماراتها، فلو أبانَ جبريلُ عليه السلام عن حقيقة القوم لما
كان هناك حاجةٌ إلى البحث والسؤال عنهم.

(ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائلِ، ولكن سأحدثك
عن أشراطِها) والاستدراك ناشئٌ عن الاهتمام
بأشراطِها، على معنى: لا تسألُ عن السَّاعةِ واسألُ عَمَّنْ
سأنبئُك بشأنهم، فانتقل الجواب إلى بيانِ القوم الذين
عليهم مدار الكلام.

(إذا وُلِدَتِ الأُمَّةُ رَبَّتْهَا فذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا) والمراد
انعكاس الأحوال وانقلاب الأمور، فبعدَ أن كانت أُمَّةُ
الإسلام تَحْكُمُ الأرض، وَيَدْفَعُ لها أهلُ الكتابِ الجزيةَ،
أصبحتْ محكمةٌ تَتَّبِعُ الحُفَاةَ العُراةَ، يُدِنُّونَ مُقدَّساتها

1- رواه النسائي، رقم: 4991.

ويأكلون فيأها، كما قال ﷺ: (إذا وُسد الأمرُ إلى غيرِ أهله فانتظرِ السَّاعةَ)¹، دلالة على انعكاس سائر الأحوال: فيصدقُ الكاذبُ، ويكذبُ الصادقُ، ويؤتمنُ الخائنُ، ويخونُ الأمينُ، ويوضعُ الأختيارُ، ويرفعُ الأشرارُ، ويتكلمُ الجاهلُ، ويسكتُ العالمُ، ويقبضُ العلمُ، ويظهرُ الجهلُ.

ولفظ مسلم: (وإذا كانتِ العرّاةُ الحفّاةُ رءوسَ النَّاسِ فذاك من أشرّاطِها) أي في هذه المرحلة التي يحكمون فيها العالمَ، والله ورسوله أعلم.

وفي رواية: (الحفّاةُ العرّاةُ الصُّمُّ البُكْمُ) والمقصود من وصفهم بالصُّمِّ البُكْمِ بيان أن هذا الصنّف العاتي من الكُفّار هم شرُّ النَّاسِ عند الله عزَّ وجلَّ، وأنَّهم في أحسِّ المنازل لديه؛ لأنَّهم أصمّاءُ عن سماع الحقِّ، بُكَماءُ

1- رواه البخاريّ، رقم: 59.

عن النطق به رغم معرفتهم به، وهذا المعنى هو المراد في
 قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ
 لَا يَعْقِلُونَ﴾ ونظير هذا في الآية الكريمة ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ
 بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ والغرض المقصود بالآية هم
 كفرة بني إسرائيل المشار إليهم في الحديث المتقدم، قال
 الإمام الطبري في تفسيره: وأولى التأويل عندي بالآية
 التأويل الأول الذي قاله ابن عباس ومن وافقه عليه وهو
 أن معنى الآية: ومثل وعظ الكافر وواعظه كمثل الناعق
 بغنمه ونعيقه فإنه يسمع نعقه ولا يعقل كلامه على ما
 قد بينا قبل فأما وجه جواز حذف "وعظ" اكتفاء بالمثل
 منه فقد أتينا على البيان عنه في قوله ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي
 اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ وَّذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ
 وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وفي غيره من نظائره من
 الآيات بما فيه الكفاية عن إعادته وإنما اخترنا هذا

التأويل لأن هذه الآية نزلت في اليهود وإياهم عنى الله تعالى ذكره بها ولم تكن اليهود أهل أوثان يعبدونها ولا أهل أصنام يعظمونها ويرجون نفعها أو دفع ضررها ولا وجه إذ كان ذلك كذلك لتأويل من تأول ذلك أنه بمعنى: مثل الذين كفروا في ندائهم الآلهة ودعائهم إياها. فإن قال قائل: وما دليلك على أن المقصود بهذه الآية اليهود؟ قيل: دليلنا على ذلك ما قبلها من الآيات وما بعدها فإنهم هم المعنيون به فكان ما بينهما بأن يكون خبراً عنهم أحق وأولى من أن يكون خبراً عن غيرهم حتى تأتي الأدلة واضحة بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم، هذا مع ما ذكرنا من الأخبار عن ذكرنا عنه أنها فيهم نزلت والرواية التي روينا عن ابن عباس أن الآية التي قبل هذه الآية نزلت فيهم وبما قلنا من أن هذه الآية معني بها اليهود كان عطاء يقول: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج

قال: قال لي عطاء في هذه الآية: هم اليهود الذين أنزل الله فيهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى قوله ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾. وقد بين الحق تعالى نفاقهم في مطلع السورة الكريمة ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وهذا إخبار من الله جل ثناؤه عن هؤلاء المنافقين الذين نعتهم الله باشترائهم الضلالة بالهدى وصممهم عن سماع الخير والحق وبكمتهم عن القيل بهما وعمامهم عن إبصارهما أنهم لا يرجعون إلى ال

إقلاع عن ضلالتهم ولا يتوبون إلى الإنابة من نفاقهم فأيس المؤمنين من أن يبصر هؤلاء رشداً أو يقولوا حقاً أو يسمعوا داعياً إلى الهدى أو أن يذكروا فيتوبوا من ضلالتهم. وقال قتادة: صُمٌّ عن استماع الحق، بُكْمٌ عن التَّكْلُمِ به، عُمِّيٌّ عن الإبصار له¹. قال الإمام القرطبي

1- تفسير القرطبي: 215/1.

في تفسيره: وهذا المعنى هو المراد في وصف النبي ﷺ
وإذ رأيت الحفّاة
العرة الصمّ البكم ملوك الأرض فذاك من أشراتها)
والله ورسوله أعلم¹.

وفي رواية: (العالة رعاء الشاء) وخصّ رعاء الشاء
بالذكر؛ لأنّهم أضعف أهل البادية، ومعناه أنّهم من
ضعفهم وبعدهم عن أسباب القوة والحضارة لا يؤبه
لهم، ولا يفتن إليهم، ولا تلحقهم الظنون؛ لبذاتهم
وقلتهم، ومقصوده أنّ هؤلاء المهازيل سينقلب بهم
الحال إلى أن يصيروا ملوكاً مع بعدهم عن أسباب
ذلك.

1- المرجع السابق نفسه.

وفي رواية: (رُعاة الإبل البُهْم)¹ ووصف الرِّعاء بالبُهْم
لأنَّهم مجهولو الأنساب - وهذه الجهالة في النسب
منطبقةٌ على آل سعود وآل الشَّيخ - ومنه أُبهم الأمر
فهو مُبهمٌ: إذا لم تُعرَف حقيقته، ووصفهم بقوله:
(العرب) وفي رواية: (العُريب) أي الأعراب.

وفي رواية: (وعاد العالةُ الحفاةُ رءوسَ النَّاسِ)² أراد
استيلاءهم على الأمر وتملُّكهم البلادَ بالقهر، مع عدم
أهليَّتهم لذلك - والله ورسوله أعلم - وهذا الأمر
موافق لمرحلة انقلاب الموازين التي هي من أشرط
السَّاعة.

والحديث يكشف عن قادة الفتنة وأئمة النفاق وزعماء
الضلالة الذين نقضوا الحكم والعلم! وعليه فيمكن

1- رواه البخاريّ، رقم: 50.

2- رواه أحمد، رقم: 17167.

تقسيم علامات الساعة في هذا الحديث إلى قسمين:
أحدهما: ما يختص بنقض العلم وهو ما أشار إليه قوله:
«إذا ولدت الأمة ربها»

والثاني: ما يختص بنقض الحكم وهو ما أشار إليه قوله:
«وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس» وقد جعل ﷺ
معرفة ذلك من صميم الدين وأشار إلى ما طرأ على
الإنسانية وعلى الأمة الإسلامية من حبكة الشيطان
وأوليائه وهيمنتهم على الأمم والشعوب.

وجاء في آخر الحديث: (هذا جبريلُ جاء ليُعَلِّمَ النَّاسَ
دِينَهُمْ) وفي روايةٍ: (مُعَلِّمَ دِينِكُمْ) فجعل ﷺ معرفة
هؤلاء الحفاة العراة، وفهم واقعهم، وإدراك حقيقتهم
من الدين؛ لِيَتَمَيَّزَ الخبيثُ من الطَّيِّبِ، ويظهر الحقُّ من
المبطل.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ط فَحَدَّ
جَاءَ أَشْرَاطَهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) والضمير للمنافقين، أي الأمر الواقع في
نفسه هو انتظار الساعة، وإن كانوا هم في أنفسهم
ينتظرون غير ذلك؛ لأن ما في أنفسهم غير مُراعى؛
لبطلانه، ونظم الكلام: فهل ينظرون إلا الساعة أن
تأتيهم بغتة؟ فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم؟ فقد جاء
أشراطها، وتقديم جملة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ يفيد
الاهتمام، وجاء التنبيه على أشراطها في الحديث المتقدم:
(إذا كانت الحفاة العرأة رعوس الناس فذاك من
أشراطها) وإذا تيقنت أيها المقتبس من المشكاة
المصطفوية المحمدية أن الساعة آتية وقد جاء أشراطها
فإنه أول ما يجب عليك: العلم بوحدانية الملك الأعظم،
وإذا تحققت أنك في زمن الحفاة العرأة فلا بد أن
تعرفهم علماً وعياناً وكشفاً وبياناً؛ فإنما تُنقضُ عرى
الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف
الجاهلية، لأن المطلوب اليقين، ولا يتم العلم إلا بحصول

اليقين بعد النظر، وذلك لا يحصل بالتقليد؛ لأنَّ دَيْدَنَ
أهل الكتاب إضلال المسلمين والتَّلبيس عليهم.

والقولُ الفصلُ الذي يرشد إليه الحديث: أنَّ معالم الدِّين
كاملة الأجزاء، مُحكمةُ الوضع، سويَّةُ البناء، ثابتةُ
الأسس، مُتَّسقةُ النَّظم، لا يمكن فصل بعضها عن
بعض، بل إنَّ الفصل بينها ضربٌ من العبث، وفيها بيانٌ
لبطلان دين الحفاة العُراة بالنسبة إلى الدِّين الحقِّ،
ووصفٌ لما هم عليه من فنون الكفر والنِّفاق، وهتكٌ
لأستارهم، وكشفٌ لأسرارهم وإزاحةٌ لشبههم الواهية
بالبينات الواضحة، وتنبيةٌ على أنَّ الحُجَّة قد تَمَّت فلم
يبق بعد ذلك علةٌ لمتعلُّ ولا عذرٌ لمعتذر...

وهذا الحديث يُنبئُ عن ميلاد الإسلام، وعن معركةٍ
مفروضةٍ على الإسلام، لا خيار للمسلمين في خوضها،
ويكشف عن صراعٍ طبيعيٍّ بين وجودين لا يمكن
التَّعايش بينهما طويلاً، ولا يمكن فهم الإسلام بوضوحٍ

إِلَّا بِمَرَاة نصوص الكتاب والسنة وفق الواقع التاريخي
الحركي هؤلاء الحفاة العراة، وفرق بعيد بين النظرة إلى
النصوص كأنها قوالب في فراغ، والنصوص في صورتها
الحركية، وهذا يقودنا إلى الحكم على أصحاب ميثاق
الدرعية بأنهم المعنيون بالحديث الشريف.

الشَّيْطَانُ وَقَرْنُهُ

القَرْنُ: الجيل من النَّاسِ، ويقال لحدِّ الرَّأسِ وجانبه: قَرْنٌ، ويُقال: كَبَشُ أَقْرَنُ أَي كَبِيرُ الْقَرْنَيْنِ، وَقَرْنُ الْجَبَلِ: أَعْلَاهُ، والمراد بقَرْنِ الشَّيْطَانِ: أَوْلِيَاؤُهُ وَحِزْبُهُ وَأَعْوَانُهُ وَزَمَانُهُ وَأَهْلُ وَقْتِهِ وَمَحَلُّ مُلْكِهِ وَتَصَرُّفِهِ، وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَهَذَا وَاضِحٌ لِمَنْ تَأَمَّلَ أَشْتَاتَ قِصَّتِهِمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَالشَّيْطَانُ هُوَ صَاحِبُ الْقِصَّةِ مَعَ أَبِينَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ أَقْسَمَ بَعِزَّةُ اللَّهِ وَسُلْطَانُهُ أَنَّهُ سَيَغْوِي ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَجْمَعِ، كَمَا حَكَى تَعَالَى فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ¹: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ

1- سورة بني إسرائيل: هو اسم لسورة الإسراء.

لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ
لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾
قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً
مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ
عَلَيْهِمْ بِحَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ والآيات تصف
في عمومها شراكة عقديَّة إعلاميَّة اقتصاديَّة سياسيَّة
عسكريَّة... تقوم بين إبليس وأوليائه تتلخَّصُ في ميثاقٍ
يضمُّ شعوب الأمم المتَّحدة ويحكم الأرض من خلاله!
وإبليسُ مأذونٌ له في استخدام وسائله كُلِّها، ومنها
الوعود المغرية الخدَّاعة.

ولما أمر ﷺ بإلزام أهل الكتاب وتبكيتهم ببيان أن مدار
نقمهم للدين إنما هو كفرهم بما هو مسلم لهم أمر عقبيه
بأن ييكتهم ببيان أن الحقيق بالنقم واللعنة والغضب
والمسخ حقيقة ما هم عليه من الاستهزاء بالدين وينعى

عليهم في ضمن البيان عبادتهم الشيطان ﴿قُلْ هَلْ
أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ
وَعَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ
الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ قال
الإمام الماتريدي في تفسيره: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ يعني
الشيطان¹. وهو قول ابن عباس والحسن. وقال الإمام
الخازن في تفسيره: وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من
أطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت هو
الشيطان². وقال الإمام النسفي: أي العجل أو الشيطان
لأن عبادتهم العجل بتزيين الشيطان³. اهـ. وُقِرَّ
﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ بضم الباء وجر الطاغوت على أن
﴿عَبَدَ﴾ جمع عَبَدَ وهو على هذه القراءة معطوف على

1- تفسير الماتريدي 549/3.

2- تفسير الخازن 58/2.

3- تفسير النسفي 458/1.

(الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ) قال الإمام القرطبي: لما نزلت هذه الآية قال المسلمون لهم "يا إخوة القردة والخنازير" فنكسوا رؤوسهم افتضاحاً¹. والمقصود من ذكر ذلك هنا تعييرهم بمساوئ أسلافهم إيكاتاً لهم عن التطاول على أنه إذا كانت تلك شنشنتهم أزمان قيام الرسل والنبين بين ظهرائهم فهم فيما بعد ذلك أسوأ حالاً وأجدر بكونهم شراً فيكون الكلام من ذم القبيل كله على أن كثيراً من موجبات اللعنة والغضب والمسخ قد ارتكبتها الأخلاف حين خادعوا المسلمين واستهزؤوا بدينهم كما يرشد إليه قوله بعده ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ فيحق شتمهم بما نعتقده فيهم. وقد أرشدنا المفسر الأعظم عليه السلام إلى مكانهم فيما رواه الإمام البخاري في الجامع الصحيح عن ابن عمر قال: قال

1- تفسير القرطبي 236/6.

رسول الله ﷺ: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمِينِنَا)
قال: قالوا: وفي نجدنا؟ قال: قال النبي ﷺ: (اللَّهُمَّ بَارِكْ
لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمِينِنَا) قال: قالوا: وفي نجدنا؟ قال:
قال: (هناك الزلازل والفتن، وبها يَطْلُعُ قَرْنُ
الشَّيْطَانِ)¹.

وفي رواية لأحمد: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَيَمِينِنَا
مَرَّتَيْنِ) فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسول الله؟ فقال
رسولُ الله ﷺ: (مِنْ هُنَاكَ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا
تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ)².

1- رواه البخاري، رقم: 1037؛ وكذا رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم:
19422.

2- رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم: 5642.

وعند الطبراني في الأوسط: (إنَّ من هنالك يُطلَعُ قرنُ الشَّيْطَانِ، وبه تسعةُ أعشارِ الكُفْرِ وبه الدَّاءُ العُضال) ¹.

وفي الصَّحيحين عن ابن عمر: قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق فقال: (ها إنَّ الفتنة هاهنا، إنَّ الفتنة هاهنا من حيث يُطلَعُ قرن الشَّيْطَانِ) ² والقرن: القُوَّة وهو من استعمال اسم السَّبب للمُسَبَّب أي يُطلَعُ من حيث قُوَّة الشَّيْطَانِ. والمراد بالفتنة: الشرك والكفر بدليل قوله في الرواية الأخرى عند الإمام أحمد: «إنَّ الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان» ³ وبذلك يتبين معنى الفتنة في استخدام الشارع إذا جاءت غير مضافة كما قال سبحانه ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾

1- الطبراني، المعجم الأوسط، رقم: 1889.

2- متفق عليه، صحيح البخاري رقم: 3279؛ وصحيح مسلم رقم: 2905.

3- رواه الإمام أحمد في مسنده، رقم: 4802.

أي الشرك أعظم جرماً عند الله وأكبر من القتل، قال قتادة: يقول: «الشرك أشد من القتل»¹ وروي عن مجاهد والربيع والضحاك وابن زيد مثل ذلك وقد حكى الإجماع عليه الماوردي في النكت والعيون إذ قال: يعني بالفتنة الكفر في قول الجميع وإنما سمي الكفر فتنة لأنه يؤدي إلى الهلاك كالفتنة. وقال تعالى ﴿وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾² قال ابن عباس وقتادة والحسن والسدي: حتى لا يكون شرك. وقال ابن زيد: حتى لا يكون كفر.

وفي رواية لمسلم: (رأس الكفر من هاهنا، من حيث يَطْلُعُ قرن الشَّيْطَانِ) يعني المشرق². والمعنى أن رياسة الكفر ومَنْشَأُ اليهوديَّةِ والنَّصرانيَّةِ في أُمَّةٍ تَطْلُعُ قِبَلَ المشرق، أَرَادَ نَجْدًا وهي مشرق المدينة المنورة. وروى

1- رواه الإمام عبد الرزاق في تفسيره، رقم: 197.

2- صحيح مسلم رقم: 2905.

مسلم عن ابن عمر أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ
الْمَشْرِقِ يَقُولُ: (هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا)
ثَلَاثًا (حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ)¹. فَيَكُونُ مَعْنَاهُ هُنَا
إِضَافَةٌ قُوَّتُهُمَا إِلَى الشَّيْطَانِ وَعَوْنُهُمَا لَهُ عَلَى مَا يَهْمُّ بِهِ،
قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "هُمَا جَمْعَاهُ اللَّذَانِ
يَغْرِيهِمَا بِإِضْلَالِ النَّاسِ. وَقِيلَ: شَعْبَتَاهُ مِنَ الْكُفْرِ"².
وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الدَّوْلَةَ السُّعُودِيَّةَ قَامَتْ عَلَى قَبِيلَتَيْنِ: آلِ
سَعُودٍ وَآلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ (آلِ الشَّيْخِ) وَقَدْ عَقَدَا مِيثَاقًا
سُمِّيَ (مِيثَاقَ الدَّرْعِيَّةِ) بَيْنَ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ
الْوَهَّابِ وَالْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودٍ عَامَ: 1157
لِلْهِجْرَةِ، الْمُوَافِقَ 1744 لِلْمِيلَادِ، وَتَمَّ الْإِعْلَانُ عَنْهُ عَامَ
1158 لِلْهِجْرَةِ الْمُوَافِقَ 1745 لِلْمِيلَادِ، وَبَلَدَةُ الدَّرْعِيَّةِ
تَقَعُ بِجَانِبِ الرَّيَّاضِ، وَهِيَ فِي مَشْرِقِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

1- المرجع السابق نفسه.

2 - شرح صحيح مسلم للإمام النووي: 34/2.

روى الدَّارِمِيُّ عن أبي الدَّرْدَاءِ قال: قال رسول الله ﷺ:
(إنَّ أخوفُ ما أخافُ عليكم الأئمةَ المضلِّين) ¹.

وجاء في صحيح مسلم: (إنَّ الفتنةَ تجيءُ من هاهنا)
وأوماً بيده نحو المشرق (من حيث يطلعُ قرنا الشَّيْطَانِ،
وأنتم يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ) ² وفي الحديث من
أدلة النبوَّة المشاهدة ما لا ينكرها المسلمون؛ إذ فرَّقهم
أولياءُ الشَّيْطَانِ شيعاً وأحزاباً يضربُ بعضهم رقابَ
بعضٍ، فصاروا على مناهجهم بينون، فيما يأتون
ويذرون.

حديث أبي هريرة في الصَّحِيحِينَ: أن رسول الله ﷺ
قال: (رأسُ الكفرِ نحو المشرق، والفخرُ والخِيلاءُ في أهل

1- رواه الدارمي رقم 215. وقوله: أخوف بالرفع خبر إن مقدم، والأئمة اسمها
مؤخر منصوب، ولذلك وصف باسم منصوب وهو المضلين.

2- صحيح مسلم، رقم 2905.

الخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَالْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبْرِ، وَالسَّكِينَةَ فِي أَهْلِ
الْغَنَمِ¹.

زاد مسلم في رواية: (والفخر والخلاء في الفدّادين أهل
الوَبْرِ، قَبْلَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ)².

حديث أبي مسعودٍ في الصَّحِيحِينَ: أشار رسول الله ﷺ
بيده نحو اليمن فقال: (الْإِيمَانُ يُمَانٍ هَاهُنَا، أَلَّا إِنَّ الْقَسْوَةَ
وَعِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ³، عِنْدَ أَصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ،
حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةٍ وَمُضَرٍّ)⁴.

1- متفق عليه، صحيح البخاريّ، رقم: 3301؛ وصحيح مسلم رقم: 52.

2- صحيح مسلم، الرقم السابق.

3- الفدّادين: جمع فدّاد، وهو من الفديد، وهو الصوت الشّدِيد، فهم الَّذِينَ تَعْلُو
أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم ونحو ذلك.

4- متفق عليه، صحيح البخاريّ، رقم: 3302؛ وصحيح مسلم، رقم: 51.

وفي رواية للبخاري: (مِنْ هَا هُنَا جَاءَتِ الْفِتْنُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ وَالْجَفَاءِ وَغَلِظُ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبْرِ عِنْدَ أُصُولِ أَدْنَابِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ فِي رِبْعَةٍ وَمُضَرَ)¹.

وفي هذه الأحاديث يتبين:

1. رأسُ الكفر، الزَّلَازِلُ والفتنُ، تسعةُ أعشار الشرِّ، تسعةُ أعشار الكُفر، قرنُ الشَّيْطَانِ... دلالة على بني إسرائيل.
2. وفي روايات أخرى: قرنا الشَّيْطَانِ بالثَّنية دلالة على اليهود والنَّصارَى.
3. المشرق، نجد، قِبَلِ مَطْلَعِ الشَّمْسِ، مكان أهلِ الْوَبْرِ، فيه دلالةٌ على أَنَّهَا أَلْفَاظٌ مُتْرَادِفَةٌ، وَأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْمَشْرِقِ الَّذِي يُخْرَجُ مِنْهُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ نَجْدُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ.

1- صحيح البخاري، رقم: 3498.

4. أهل الوبر، أهل الخيل والإبل، الفدادون،
وفي حديث جبريل عليه السلام وصفهم برعاء الإبل،
وهذه الأوصاف منطبقة على أصحاب ميثاق
الدرعية.

الفخر والخيلاء، القسوة وغلظ القلوب، قال
تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ والخطاب في
الآية لبني إسرائيل المعبر عنهم بقرني الشيطان في
الحديث المتقدم: (أَلَا إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلْظَ الْقُلُوبِ
فِي الْفَدَّادِينَ، عِنْدَ أَصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ، حَيْثُ
يَطْلَعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ فِي رَبِيعَةٍ وَمُضْرَةٍ)، والطلوع
يُحْمَلُ عَلَى الْإِخْتِفَاءِ، يُقَالُ: طَلَعَ إِذَا اخْتَفَى
وَوَغِبَ، وَهَذَا مِنَ الْأَضْدَادِ¹، أَي يَغِيبُ وَيَخْتَفِي

1- لسان العرب لابن منظور مادة طلع، 134/9 وما بعدها.

قرنا الشيطان في ربيعة ومضر، ويشير إلى ذلك المعنى الحرف "في" حين قال: "في ربيعة ومضر"، ولم يقل: من ربيعة ومضر. وآل سعود وآل الشيخ لبسوا جلدة بني إسماعيل وانتحلوا نسب ربيعة ومضر! والحقَّ أَنَّهُمْ مسحة إسرائيلية اختفت في ربيعة ومضر! حيث يَنسُبُ آلُ سعودِ أَنفُسَهُمْ إلى مُحَمَّدِ بنِ سعودِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّدِ بن ربيعة بن مانع بن الحسيب بن المقلد بن بدران بن مالك بن سالم بن مالك بن حسان بن ربيعة بن مرة بن منقذ بن الحارث بن سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل، كما ذكروه في الأَجوبة النَّجديَّة¹. ومعلوم أَنَّ بكر بن وائل من

1- الدرر السننية في الأَجوبة النَّجديَّة: 348/16.

ربيعة، قال ابن حزم في كتاب جمهرة أنساب العرب: وبنو بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة¹. وآل الشيخ ينسبون أنفسهم إلى مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مُحَمَّد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن مُحَمَّد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نمشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، كما ذكره في الأجوبة النجدية². ومعلوم أن بني تميم

1- جمهرة أنساب العرب: 484/1.

2- الدرر السننية في الأجوبة النجدية: 315/16.

من مضر، قال ابن حزم: بنو تميم بن مر بن أد بن
طابخة بن إلياس بن مضر¹.

5. توكيده ﷺ بإعادة (إِنَّ الفتنة هاهنا)،
وبأداة التَّنْبِيهِ "ها"، وعدم إجابة السَّائِلِينَ عن نجدٍ
في المرّة الأولى، فنبّه ﷺ أمته الغافلة التَّائِهَةَ،
وأرشدّها إلى مَكْمَنِ الخَطَرِ.

6. قوله: "في ربيعة ومضر" أي في جهة
المشرق بالنسبة للمدينة المنورة، حيث مسكن
هاتين القبيلتين.

7. الفدّاد: هو الشديد الصوت رحب
الجوف، يقال: فدا إذا رفع صوته وهو دأب
الحفاة العراة وعادتهم، "وحكى أبو عبيدة معمر
بن المثنى: أن الفدادين هم أصحاب الإبل الكثيرة
من المائتين إلى الألف" ذكره الحافظ ابن حجر في

1- جمهرة أنساب العرب: 480/1.

الفتح¹ وقال: "أهل الوبر بفتح الواو والموحدة، أي ليسوا من أهل المدر؛ لأنَّ العَرَبَ تعبرُ عن أهل الحَضْرِ بأهل المدر، وعَن أهل البادية بأهل الوبر". اهـ². ومعنى قوله: عند أصول أذنان الإبل والبقر أي هم تبع لأصولها، وفيه إيحاءٌ إلى أنَّهم جعلوا المتبوع تابعاً، والتَّابع متبوعاً، فقلبوا الموازين، وخادَعُوا المؤمنين، وعكسوا ما هو معتبر موضوعاً ومشروعاً، وأهل جزيرة العرب لم يكونوا أصحاب بَقَرٍ، وإنَّما كانوا أصحاب إِبِلٍ وغنمٍ، وهذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ؛ لأنَّه أخبر عن المغيب، ووافق الواقعَ خبره، حيث صار لأهل القسوة وغِلْظ القلوب في جزيرة العرب أكبر مزارع الأبقار في العالم!!!

1- فتح الباري: 352/6.

2- المرجع السابق نفسه.

وقوله: (هناك الزلازل والفتن) أي هناك البلايا
والأمور العظام... هناك أولياء الشيطان... هناك
رعوس الكفر... هناك صناديد الشرك... هناك
قادة التَّفَاق... هناك أئمة الضلال... هناك يدسُّ
الكيد الخبيث والمكر السيئ... هناك تُسَطَّر
الأديان الباطلة... هناك تُدَوَّن العقائد الزائغة
والمناهج المنحرفة... هناك تُكْتَب المواثيق
الجائرة... هناك تُدبَّر المصائب لأمة الإسلام...

وقد أغرى إبليسُ عمرو بنَ لحيّ عندما كان يسير على
راحلته في الحجّ فتمثّل له في صورة شيخٍ نجديّ على
بعيرٍ أصهب، فسايره ساعة، ثمّ لبّى إبليس، لبيك اللهم
لبيك، لبيك لا شريك لك إلّا شريكاً هو لك تملكه وما
ملك، فلّبّاها عمرو بن لحيّ، ولبّى الناس على ذلك،
فلم تنزل تلبيتهم حتّى جاء الإسلام¹.

1- أخبار مكة للأزرقي: 179/1.

وقصة تمثل إبليس بدار الندوة مشهورة، حين تأمروا
على النبي ﷺ وقالوا: لا يدخل معكم أحدٌ ليس منكم،
فدخل معهم الشيطان في صورة شيخ من أهل نجد،
فقال بعضهم ليس عليكم من هذا عين، هذا رجلٌ من
أهل نجد... إلخ¹.

وفي بيان قريش للكعبة تمثل إبليس في صورة شيخ
نجدية حين حكّموا رسول الله ﷺ في أمر الركن من
يرفعه، فصاح الشيخ النجدية: يا معشر قريش، أقد
رضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوي
أسنانكم؟²

1- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، رقم: 9743.

2- الروض الأنف للسهيلى: 124/4.

وتكرارٌ مجيء إبليسَ في صورة شيخٍ نحديٍّ يثير تساؤلاً
في أذهاننا مفاده: ما هي الصّلة بين إبليس وصورة
الشيخ النّحديّ؟

لقد ترَبَّعَ إبليسُ على عرش الحكم مع الحفاة العراة
الذين قاموا بزرع ما يُسمّى بدولة إسرائيل، بعد
الانقلاب على الطبقات الحاكمة، والمرجعيّات الدّينيّة
والاجتماعيّة في فارسَ والرُّومَ، وتبديلها بعائلاتٍ لقيطةٍ
مُدجّنةٍ، ليس لها مطامعُ سلطويّةٍ، ولا تنشطُ إلا
للملذّات الحسيّة التي وفرها لها أسيادها أولياء الشيطان،
بينما الشُّعوب تُتابع مسرحيّةً مجبوكةً بشكلٍ متميّزٍ
تُغطّيها وسائل الإعلام، وتُسلط عليها الضّوء، وتظلُّ
الشُّعوب تائهةً في حالة سُكْرٍ مزمنةٍ، تحت منظومةٍ
عالميةٍ جديدةٍ تتفق الأرض كلّها على مرجعيّةٍ سياسيّةٍ
واقصاديّةٍ واحدةٍ مستنسخةٍ في جميع الدُّول!

وَتَمَكَّنَ الحفاة العراة من خلال شَرَائِكَةِ عَقْدِيَّةٍ بينهم وبين الشَّيْطَانِ من السَّيْطَرَةِ على الفرس والرُّومِ عبر الجاليات المتهوِّدة ذات الأصول الخزرِيَّةِ وغيرها، والتي انتظمت في منضَّماتٍ ومُحافلٍ ماسونيَّةٍ، واتَّخذت من العمل الفكريِّ والاجتماعيِّ غطاءً لها؛ لتخدم أسيادها، وهي تحسب أنَّها تخدم نفسها، بعد أن كانت هذه الجالياتُ مُضطهدةً في أوروبا من قِبَلِ الملوك والأباطرة، بسبب أعمالها التخريبيَّةِ المتمثِّلة في الاستحواذ على الثَّرَواتِ، وممارسة الاحتكار، وإغراق المجتمعات في الدَّيُون الرَبَوِيَّةِ، وظهرت الحركة الفكرية الدَّاعية إلى تحرُّر الشعوب من سطوة الإقطاعيين، وإلى إنهاء حالة الطبقية والملك الفرديِّ، وحالة التسلُّط الكنيسيِّ، وأصبح هناك نظامٌ عالميٌّ قائمٌ على فكرة الجمهوريات أو الملكيات البرلمانية التي يسود فيها أشباه الملوك ولا يحكمون! وهذه الفكرة طُبِّقت عمليًّا إبان الثورة

الفرنسيّة، حيث أُطيح بالنّظام الملكيّ، واستُبدِل بالنّظام
الجمهوريّ، وتمّ استنساخ هذه التّجربة في العديد من
الدّول، وتمّت الإطاحة بالملكيات تبعاً... وهذا كلّهُ
نتيجة لإشراكٍ قام بين الشّيطان وبين بني إسرائيل الحُفاة
العُراة!

ويكفي أن يعرف المؤمنُ علاقةَ بني إسرائيل بالشّيطان،
ليُدرك التُّقلة الضّخمة الّتي أحدثها في دول الغُرب، فإنّه
قد فرّخ في فارس والرُّوم، وتمكّن من السّيّطرة الفكرية
والعقائديّة على زعماء تلك الأمم ومُفكّريها.

نَجْد

ما المراد بنجد؟

يثيرُ الحفاةُ العِراءُ شُبُهَةً مفادها أنَّ المقصودَ بنجدٍ في الأحاديثِ النَّبَوِيَّةِ نجدُ العراقِ، وليس نجدَ جزيرةِ العربِ، فما حقيقة ذلك؟

النَّجْدُ هو ما ارتفع من الأرضِ، بخلافِ الغَوْرِ: وهو ما انخفض من الأرضِ¹ ومن المعلومِ ضرورةً أنَّ أرضَ نجدٍ تقعُ شرقَ المدينةِ المَنوَّرةِ، وهذا التَّعريفُ لا ينطبقُ على العراقِ، فالعراقُ أرضٌ منخفضةٌ فيها سهولٌ، وأهلُها أهلُ زِراعةٍ وصناعةٍ وتجارةٍ.

1- لسان العرب لابن منظور: 34/5.

وقد أثار حديث ابن عمر في صحيح الإمام مسلم بعض الإشكالات، فقد روى مسلم عن عبد الله بن عمر بن أبان، وواصل بن عبد الأعلى، وأحمد بن عمر الوكيعي - واللفظ لابن أبان - قالوا: حدثنا ابن فضيل عن أبيه، قال: سمعت سالم بن عبد الله بن عمر، يقول: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصَّغِيرَةِ! وأركبكم للكبيرة! سَمِعْتُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا) وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ (مَنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ) وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ سَالِمٍ: لَمْ يَقُلْ سَمِعْتُ¹.

1- صحيح مسلم، رقم: 2905.

ويبدو أن توييخ سالم لأهل العراق هو تنبيه وإيقاظ وإيدان بأن اقتتلهم ناجم عن أتباع قرني الشيطان اليهود والنصارى من بني إسرائيل السّاعين في الأرض بالفساد، المتنقلين بين الناس بالسّعاية والإفساد؛ فإنّهم بعد أن جرى عليهم ما جرى من الإجلاء من جزيرة العرب إلى الشّام عمّدوا إلى أهل العراق مُظهرين الإسلام ومُنطوين على الكفر، فجعلوا المسلمين فرّقاً وشيعاً وأثاروا الفتن والاختلاف والتّفرّق والافتتال، فلعلّ هذا ما فهمه سالم، وعليه تُحمَل رواية "وفي عراقنا" جمعاً بين الروايات بما يُزيل تعارضها في الظّاهر والله ورسوله أعلم. وقد عُرف بنو إسرائيل بالإفساد وإثارة الفتن وبث الوسوس والدسائس حتى كانت الأنصار وغيرهم من القبائل في غاية التنافر والتقاطع لما أوقعوا بينهم من الحروب حتى هلك كثير من صناديدهم وأشرافهم! ولا يخفى ما كان من أمر شناس بن قيس القينقاعي

الإسرائيلي حين مر يوماً على الأنصار الأوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاضه ما رأى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال: قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار فأمر فتى شاباً من يهود فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعث وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتناولون به من الأشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم ووعظهم فعرفوا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم.

ومما يؤيد ما ذكرناه ورود أحاديث تُبين فضل العراق، ففي الطبراني عن أنس بن مالك، قال: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْيَمَنِ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ أَقْبِلْ بَقُلُوبَهُمْ) وَنَظَرَ قَبْلَ

العراق فقال: (اللَّهُمَّ أَقْبِلْ بِقُلُوبِهِمْ) وَنَظَرَ قَبْلَ الشَّامِ
فقال: (اللَّهُمَّ أَقْبِلْ بِقُلُوبِهِمْ، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا
وَمُدِّنَا)¹. فقد خَصَّهِمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالذُّعَاءِ وَحَسِبُهُمْ ذَلِكَ
فَضْلاً وَمَنْزَلاً، بِخِلَافِ أَهْلِ نَجْدِ الَّذِينَ امْتَنَعَ ﷺ عَنْ
الذُّعَاءِ لَهُمْ.

ومن المحال أن يكون العراقُ المعروف بعينه هو نجد
جزيرة العرب المكان المشهور المعروف بعينه؛ لِأَنَّهُمَا
مَكَانَانِ مُخْتَلِفَانِ مُنْفَصِلَانِ، وَقَدْ وَقَّتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لِأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ الْمَنَازِلِ يُهْلُونَ مِنْهُ، وَلِأَهْلِ الْعِرَاقِ
ذَاتَ عِرْقٍ فِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: وَقَّتَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّامِ
وَمِصْرَ الْجُحْفَةَ، وَلِأَهْلِ الْعِرَاقِ ذَاتَ عِرْقٍ، وَلِأَهْلِ نَجْدٍ

1- رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم: 4790؛ ورواه أحمد، رقم:
14690؛ والبخاري في الأدب المفرد، رقم: 482.

قَرْنَ المنازلِ، ولأهل اليمن يَلْمَم¹ وهذا نصٌّ صريح لا
يحتمل التَّأويل في أنَّ العراق ليست نجدًا، كما أنَّ قرن
المنازل ميقات أهل نجد جزيرة العرب فهم المعنيون
بأحاديث رسول الله ﷺ لا العراق.

وجاء في صحيح الإمام مسلم: (بعث رسول الله ﷺ
خيلاً له نحو أرض نجد، فجاءت برجلٍ يقال له ثَمَامَةُ
بن أُنَّالِ الحَنَفِيِّ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ...) إلخ². وفي
صحيح الإمام البُخَارِيِّ: (بعث النبي ﷺ خيلاً قَبْلَ نَجْدِ،
فجاءت برجلٍ من بني حَنِيفَةَ يقال له: ثَمَامَةُ بن
أُنَّالِ)³ فقد حدَّد الحديثان السَّابِقان أرض نجدٍ تحديداً
لا لَبَسٍ فيه ولا غموض؛ إذ إنَّ بني حنيفة في نجدِ جزيرة
العَرَبِ.

1- سنن النسائي، رقم 2656.

2- صحيح مسلم، رقم: 1764.

3- صحيح البخاري، رقم: 462.

ولا رَيْبَ أَنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ ظَهَرَتِ الرَّدَّةُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْكُفْرِ
وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، مِنْ جِهَةِ مُسَيْلِمَةَ الْكُذَّابِ وَأَتْبَاعِهِ
وَطَلِيحَةَ الْأَسَدِيِّ وَأَتْبَاعِهِ، وَسَجَّاحَ وَأَتْبَاعِهَا، وَمِنْهَا
أَغْلَبُ الْخَوَارِجِ مِثْلَ حُرْقُوصِ بْنِ زَهْرٍ رَأْسِ الْخَوَارِجِ،
وَنَجْدَةَ بْنِ عَامِرِ الْحَنْفِيِّ نَسَبَةً إِلَى بَنِي حَنِيفَةَ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ
مِنْ نَجْدِ الْيَمَامَةِ، وَقِطْرِيَّ بْنِ الْفُجَاءَةِ أَشْرَ فَرَسَانَ
الْأَزَارِقَةَ الْخَوَارِجِ، وَفِيهَا عُقْدُ مِيثَاقِ الدَّرْعِيَّةِ!

وَلَمْ يَشُدَّ عَنْ كَوْنِهَا نَجْدَ الْيَمَامَةِ سِوَى مَا وَرَدَ عِنْدَ
الْإِمَامِ الْخَطَّابِيِّ (ت: 388هـ) فِي كِتَابِ أَعْلَامِ
الْحَدِيثِ: "نَجْدٌ: نَاحِيَةُ الْمَشْرِقِ، وَمَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ كَانَ
نَجْدُهُ بَادِيَةَ الْعِرَاقِ وَنَوَاحِيهَا، وَهِيَ مَشْرِقُ أَهْلِهَا"¹
وَوَرَدَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ: "وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ عَلَى
تَسْهِيلِهِ، وَلَهُ الشُّكْرُ دَائِمًا عَلَى تَحْصِيلِهِ، وَوَافِقَ الْفِرَاقِ

1- أعلام الحديث: 2330/4.

منه في شهر جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وستين
وخمسمائة¹ أي تمّت كتابة المخطوطة بعد خمسة
وسبعين ومائة عامٍ من موت الخطّابي! وحقّقها مؤخراً
مُحمَّد بن سعد بن عبد الرَّحْمَن آل سعود!!!

1- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري): 2359/4، المؤلف: أبو سليمان
حمد بن محمد الخطّابي (ت 388 هـ) المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن
آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث
الإسلامي) الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م.

بنو إسرائيل

إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، والمراد من بنيه أبنائه وذريته الذين خاطبهم تعالى بقوله: ﴿يَبْنَى إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وقد ناداهم بهذا الوصف لكونه اسماً للقبيلة، أما وصف اليهود والنصارى فاسمٌ للنحلة والديانة. وقد أورثهم الله الأرض وجعلهم خلفاء فيها بعد هلاك فرعون وحزبه، وكان مقرُّ خلافة بني إسرائيل في الشام، ثم انتقل قبيل البعثة إلى جزيرة العرب.

وبنو إسرائيل مشهورون بكذبهم في أنسابهم، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة، قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اجمعوإ إلي من كان هاهنا من يهود) فجمعوإ له،

فقال: (إني سأئلكم عن شيء، فهل أنتم صادقون عنه؟) فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: (من أبوكم؟) قالوا: فلان، فقال: (كذبتُم، بل أبوكم فلان)، قالوا: صدقت¹. وكما كان سلفهم يماكرون ويساترون ويكذبون في أنسابهم كذلك فعل خلفهم (آل سعود وآل الشيخ) الذين انتسبوا إلى ربيعة ومضر كذباً وزوراً.

ومن معجزات القرآن الكريم أنه شرح من أحوال بني إسرائيل ما لا يعلمه إلا أحبارهم وخاصتهم مع حرصهم على كتمانهم والاستئثار به خشية المزاحمة في الجاه والحكم فجاء القرآن صادعاً بما لا يعلمه غير خاصتهم مما يقصون منه العجب! قال تعالى ﴿وَاتَّوَعَّلُوا لَنْزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٤﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾

1- صحيح البخاري، رقم: 3169؛ ومسند أحمد، رقم: 6827.

وَاتَّهَو لَفِي زُبْرِ الْأَوْلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ
عَلَمَتُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١﴾ والضمير في ﴿يَكُنْ﴾ عائد إلى
القرآن الكريم، وقرأ الشامي بقاء التأنيث ورفع التاء
﴿أَوْلَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾ وهي قراءة متواترة، والتأنيث
محمول على محذوف تقديره: "قصة الاستخلاف"
والمعنى: أولم تكن لهم القصة علم علماء بني إسرائيل به
آية؟ والاستخلاف: هو تفويض بحكم الأرض وسياسة
الناس وفق عقد بين ملك الملوك وبين المفوضين بالحكم
في الأرض. وقد استخلف الله قوم نوح ثم استخلف
عاداً ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ واستخلف بعدهم ثمود
﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي
الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ واستخلف قوم لوط
وأصحاب الأيكة وقوم تبع وقوم فرعون، واستخلف
بعدهم بني إسرائيل كما حكى تعالى ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ

قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ
يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ) واستخلف كذلك بني إسماعيل وخص قريشاً
بالتفضيل على نحو ما ورد في الصحيحين: (الناس تبع
لقريش في هذا الشأن)¹ وعلى هذا انعقد إجماع
الصحابة ومن بعدهم. والله يؤتي ملكه من يشاء من
عباده ويختار من يشاء من الناس لحمل الأمانة، ولما
حملها بنو إسرائيل نقضوا الميثاق واتبعوا الشيطان
وأشركوا بالرحمن. وقد ذكر سبحانه في كتابه الكريم
تسع أمم استخلفها في الأرض كما استخلف بني
إسرائيل فاتخذت شركاء من دون الله ثم برزت كل أمة
في معصية تجاهر بها فبارز قوم شعيب ربهم ببخس
المكيال وقوم لوط باللواط وهكذا... وبنو إسرائيل
بارزوا ربهم بالمنعم عليهم بكل ما لدى تلك الأمم من

1- صحيح البخاري، رقم: 3305؛ وصحيح مسلم، رقم: 1818.

الفواحش والمعاصي! وبحسب الاستقراء لأماكن الأمم
الغابرة تبين أنها تقع داخل المنطقة العربية اليوم، وقد
تكلّمت تلك الأمم المستخلفة بالعربية التي نزلت بها
الكتب الإلهية، روى الإمام الطبراني في المعجم الأوسط
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي
بيده ما أنزل الله وحياً قط على نبي بينه وبينه إلا
بالعربية ثم يكون هو بعد يبلغه قومه بلسانه)¹ والمقصود
من التبليغ تبين ما في الكتب الإلهية من المعاني
والكشف عن المراد منها وليس المقصود الترجمة إلى
الألسنة الأخرى وذلك لأمر: منها: تنافر حالي
الكتاب والمرسل إليهم، ومنها: أن الكتب الإلهية هي
كلام الله المنزل بالعربية والترجمة ليست كذلك، ومنها:
لو فرضنا نزول الكتب الإلهية إلى أعاجم لأدى إلى أشد
الفرقة وربما قالوا لرسولهم عند اختلاف الألسنة: لا

1- المعجم الأوسط، رقم: 4635.

نفهم ما نزل إذ قالوا ذلك مع اتفاق اللغات فقد قال قوم شعيب عليه السلام: ما نفقه كثيراً مما تقول! هذا هو عليه السلام يخاطبهم بلسانهم فكيف لو كان على خلاف ذلك؟ ومنها: لو فرضنا أن بني إسرائيل ليسوا من العرب لكانوا أولى الناس بالترجمة إذ الخطاب القرآني ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ﴾ موجه إليهم ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ترجم القرآن الكريم إلى اللسان العبراني أو إلى غيره، وعليه فإن معنى قوله "ثم يكون هو بعد يبلغه قومه بلسانه" التبيين على حد قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ وعلى حد قوله سبحانه ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي لستم على شيء مستقيم حتى تقيموا التوراة والإنجيل والقرآن الكريم وهذا يناسب قوله قبله

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ والمقصود بنو إسرائيل بقريظة قوله بعده ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ والرسول إنما أرسلوا بحسب ما وقع عليه التواطؤ في لسان المستخلفين المرسل إليهم وهو اللسان العربي كما أشار قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم﴾ وهو معطوف على ﴿كُتِبَ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن النازل باللسان العربي المصدق لما بين يديه من الكتب المهيمن على جميعها وكان هذا من تمام قوله سبحانه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ أي كما أرسلنا قبلك المرسلين وأنزلنا الكتب عليهم بالعربية كذلك أنزلنا إليك هذا القرآن ثم أعقب بالتمثيل بالنظير ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ فابتدأ بذكر القرآن وأردف بذكر التوراة دليلاً على أنه تعالى يضل من يشاء إضلاله حسب قهره

وجلاله ويهدي من يشاء هدايته بمقتضى لطفه وجماله وهو في ذاته العزيز الغالب على عموم مشيئته، الحكيم في فعله على مقتضى إرادته. فشرف المولى سبحانه العرب على غيرهم من الأمم إذ أنزل كتبه بلسانهم وجعل أنبياءهم منهم فإن آدم عليه السلام لما نفخ الله فيه الروح عطس فقال (الحمد لله) وهي كلمة عربية تتعذر ترجمتها بمفردات من اللغات الأخرى تؤدي المراد منها أي لا يوجد لها مقابل في جميع الألسنة وأما حديث أبي ذر رضي الله عنه (وأربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك)¹ ففي إسناده إبراهيم بن هشام وقد تكلم فيه أئمة الجرح والتعديل، ويعارضه ما هو أقوى منه وهو عموم الآيات والأخبار السابقة. والاستفهام في الآية (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُوْ عُلَمَآؤُا بَنِي إِسْرَآئِيلَ) فيه تنويه بالقرآن وحجة على التنويه السابق

1- رواه ابن حبان رقم: 361.

(وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) ففي سفر التثنية من كتب موسى عليه السلام في الإصحاح الثامن عشر قول موسى: (قال لي الرب: أقيم لهم نبياً من وسط إخوانهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) فدل هذا على أمرين؛ الأول: أن بني إسرائيل من العرب لقوله: (فيكلمهم بكل ما أوصيه به) ولا يستقيم أن يكلمهم بغير لغتهم، والثاني: أن هذا النبي من غير بني إسرائيل لقوله: (من وسط إخوانك) فإن الخطاب لبني إسرائيل ولا يكونون إخوة لأنفسهم، وإخوانهم هم أبناء أخي أبيهم: إسماعيل أخي إسحاق وهم جميعاً من العرب، وكلام الله المجعول في فمه هو القرآن العربي الموحى به إليه وهو يتلوه... وهذا دليل على أن بني إسرائيل من العرب وفي إنجيل يوحنا قول المسيح في الإصحاح الرابع عشر: (وأنا أطلب من الأب - أي الرب - فيعطيكم مُعزياً - أي رسولاً - آخرَ ليملك

معكم إلى الأبد... ثم قال: فهو يُعلمكم كل شيء
ويذكركم بكل ما قلته لكم) وهذا دليل على أنهم من
العرب فلو نزله باللسان الأعجمي لتجافوا عنه أصلاً
ولقالوا: ما نضع بما لا نفهمه فيتعذر التذكير به، وهذا
التعليم لكل شيء هو تنزيهه بلسانهم، ومعلوم أن لسان
بني النضير وقينقاع وقريظة كان عربياً وكان لهم في
المدينة وخيبر من الفصاحة والبلاغة والعلم ما لا يحتاج
مَنْ طالع السيرة فيه إلى توقف وكان منهم الشعراء
المبرزون ومع ذلك لم يقدر أحد منهم على الطعن في
القرآن ولا عارضه منهم إنسان. ونظم الآيات وسياقها
يؤكد ذلك، والسياق لُجّة لا ساحل لها، يمرُّ به الكثير
ممن لا يحسن العوم فيه ساهين عنه، وهذا الباب لمن
يستفتحه من أنفع فواتح الفهم في القرآن، ثم بين المولى
سبحانه عناد بني إسرائيل وأقام الحجّة عليهم ودعاهم
إلى التفكير وكأنه يقول: إن هذا القرآن أنزلته إليكم

بلغتكم لا بلغة أجنبية عنكم، فأزاح عنهم العلة ودمغهم بالحجة، وأخبر أنه لو نزله على الأعاجم لم يفهموه وكانوا أجهل الناس به ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أي ولو نزلناه على غير العرب من أصحاب اللسان العبري أو غيره ما كانوا به مصدقين، فاهمين، عارفين... ثم أخبر سبحانه عن معرفة علماء بني إسرائيل به، وتمكّنه في قلوبهم أشد التمكّن، وأخبر عن سابق حكمه بالشقاوة عليهم، وصادق علمه بهم وأنهم لا يؤمنون به حتى يروا العذاب يوم القيامة، حين لا ينفعهم إيمان ولا ندامة، فقال ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي هكذا نولج القرآن في قلوبهم لتقوم الحجة عليهم، فإنهم يعرفونه ويفهمونه ويدركون خصائصه إذ هو بلغتهم وإنما يكابرون ويعاندون لمجرد المكابرة والعناد، لا لضعف الحجة ولا لقصور الدليل. ومعنى قوله ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ

الأولين) أي أن ذكر القرآن وارد في كتب الأولين، وكلها بالعربية على نحو ما جاء في الحديث المتقدم وأما السريانية أو العبرانية فهذه السنة شركاء بني إسرائيل وقد ترجموا لهم الكتب الإلهية وفرّقوها عليهم ثم فسروها بالعربية لأهل الإسلام تشغيلاً كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم) الآية¹. ويؤيده ما رواه البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت في ورقة بن نوفل: (وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب)² وفي رواية: (وكان

1- صحيح البخاري، رقم: 4485.

2- صحيح البخاري، رقم: 4953.

يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب)¹ وذلك أن الكتب نزلت بالعربية ثم ترجمها أهل الكتاب إلى العبرانية فكان ورقة يكتب الكتاب العربي والكتاب العبراني لتمكنه من الكتابين واللسانين، ولذلك أمر ﷺ زيد بن ثابت بتعلم السريانية معللاً ذلك بأنه لا يأمن اليهود على كتابه. وقد نزل القرآن الكريم ليصحح البناء الذهني للبشر ويكشف ويفضح هذه الفئة التي تجيد المداورة وتتقن المراوغة وتنفذ من الأسوار وتتبادل الأدوار ويُبين مداخلها ومسارها ويقطع الطريق عليها من خلال رسم خريطة عامة تُبين مسار انحرافها وضلالها في عقائدها وانعكاس ذلك على الأمم التي سارت بسيرها... والمقصود بوصف الكتاب بأنه عربي غرضان: أحدهما: التنويه بالقرآن ومدحه بأنه منسوج على منوال أفصح لغة في

1- صحيح البخاري، رقم: 3.

أعلى طبقات اللسان العربي وأبعدها عن التكليف مع فخامة الألفاظ وجلالة المعاني وعلو النظم وورصافة السبك ووجازة العبارة ودقة الإشارة مع سهولة الفهم وقرب المتناول، وثانيهما: التورك على المعاندين من العرب حين لم ينتفعوا بهديه فكانوا كمن يسمع كلاماً بلغة غير لغته، وفيه تقييح لهم حين أهملوا التدبر فيه، وأن كماله في البيان والإفصاح يستأهل العناية به لا الإعراض عنه، والتعرض لكون القرآن عربياً للإشارة إلى أن ذلك إحدى مواد الموافقة للكتب السابقة، ويشير إليه شَبَه سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شَبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم

يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت
 الصلاة فأمتهم¹ وشنوءة وثقيف قبيلتان شهيرتان من
 العرب، ويعضد ذلك قوله تعالى ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ
 ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ أي لتكون من الذين أنذروا
 باللسان العربي على نحو ما ورد في قوله سبحانه ﴿وَمِن
 قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا
 عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ والتصديق
 يجزم بأن القرآن حاكم على ما اختلف فيه، فإنه بلغة
 العرب التي جاءت بها صحف إبراهيم وموسى واللغة
 التي تكلم بها عيسى وأتباعه أصحاب الإنجيل،
 والمصدق: المخبر بصدق غيره، وحُذِفَ مفعول المصدق
 ليشمل جميع الكتب السماوية. وفي مطلع سورة يوسف
 إشارة إلى أن بني إسرائيل من العرب ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
 عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وتنزيل القرآن بالعربية التي هي

1- صحيح مسلم، رقم: 172.

لسان بني قينقاع وقريظة والنضير، هو تنزيل له على قلب سيدنا محمد ﷺ لأنه يفهمه ويفهمه قومه، إذ لو كان أعجمياً فلا يكادون يفطنون للمعاني والألفاظ كيف جرت، قال تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ والمعنى: كيف يلتقي أعجمي وعربي، أي كيف يكون اللفظ أعجمياً والمخاطب عربياً، وكيف يُلقى لفظ عربي إلى مخاطب أعجمي؟ إذ أن مبني الإنكار على تنافر حالي الكتاب والمكتوب إليه! فلو جعله الله قرآناً أعجمياً لاعترضوا عليه وقالوا: لولا جاء عربياً فصيحاً مفصلاً حتى نفهمه، وكذلك لو جعل بعضه أعجمياً وبعضه عربياً لاعترضوا وقالوا: ءأعجمي وعربي؟ وكذلك الكتب السابقة لو نزلت بلسان أعجمي أو إلى أعاجم لكان منافياً لهذا المقصود ويؤدي إلى أشد الفرقة ويكون فهمهم لأحكامها ووقوفهم على حقائقها أصعب،

ويكونون إلى الغلط والخطأ أقرب، وتؤدي بهم التراجمة إلى التنازع والتحريف، فانتهض الدليل على المنكرين، وظهر أن نزول الكتب بالعربية أقرب وأقطع لعذر الإسرائيليين. وحاصل معنى الآية: أنها تؤذن بكلام مقدر داخل في صفات القرآن، وهو أنه بلسان عربي بلغة من استخلفهم الله في الأرض إتماماً لهديهم فتعنتوا وتعللوا بالتعللات الباطلة، فالآية تبين طريقتهم في التعنت والمرء والجدل. وحكى تعالى على لسان يوسف: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ والبدو إذا أُطْلِقَتْ تدلُّ على العرب الرُّحَّل، أمَّا العجم الرُّحَّل فيُطْلَقُ عليهم العَجْر. واستشكل بعضهم خبر ابن عباس رضي الله عنهما: (أول من نطق بالعربية إسماعيل)¹ وأجاب شيخ الإسلام ابن حجر بما رواه الزبير بن بكار في النسب من حديث علي بإسناد حسن قال: (أول من فتق الله لسانه

1- مستدرک الحاکم، رقم: 4077.

بالعربية المبينة إسماعيل)¹ وبهذا القيد يجمع بين الخبرين فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان لا الأولية المطلقة فيكون بعد تعلمه أصل العربية من جرهم أهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها ويشهد لهذا ما حكاه ابن هشام عن الشرقي بن قطامي: إن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم. قال النحاس: عربية إسماعيل هي التي نزل بها القرآن وأما عربية بقايا حمير فغير هذه العربية وليست بفصيحة وإلى هذا مال جماعة من الأئمة. فالعربية المبينة الفصيحة لغة إسماعيل عليه السلام وورثها عنه بنوه وأفصحهم هذا الحي من قريش ثم صار لفظ العرب علماً بالغلبة عليهم كما جاء في الخبر الأظهر: «حب العرب إيمان وبغضهم نفاق» وهذا لا يعني أن غيرهم من العجم إنما أراد حياً من أحياء

1- فتح الباري 403/6.

العرب ويؤيده قول البراء أن معناه في الأنصار وبالجملة فإن قريشاً ارتفعت في الفصاحة عن عننة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضع قيس وعجرفية ضبة وتلتة بهراء. وعلى هذا تكون لغة العرب على قسمين: قسم يرجع إلى ما قبل إسماعيل، والقسم الآخر العربية الفصيحة المبينة التي بها نزل القرآن وأول من أطلق لسانه بها إسماعيل وبذلك انطلق لسانه من الكلام في مذهبٍ أوسع منحى وأوضح دلالة وأبين معنى وأجود فصاحة. وبهذا يتبين أن لغة العرب أسبق اللغات وجوداً وهي اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة وهي لسان عاد وثمود وجديس وحمير وجرهم وقحطان والعماليق ولسان إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأمم المستخلفة التي كانت قبل الخليل عليه السلام.

وقال تعالى في سورة طه بعد ذكر قصة بني إسرائيل ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا) فهو مُوجَّهٌ إليهم
بلغتهم - عَرَبِيًّا - لإيقاظهم، وجاء في حديث سيدنا
حذيفة رضي الله عنه في الصَّحِيحِينَ: (دَعَا إِلَى أَبْوَابِ
جَهَنَّمَ، مِنْ أَجَابِهِمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا) قلت: يا رسول
الله، صِفْهُمْ لَنَا، فقال: (هُمْ مِنْ جِلْدِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ
بِاللِّسَانِ)¹. أراد أَنَّهُمْ مِنَ الْعَرَبِ، وَأَنَّهُمْ فِي الظَّاهِرِ عَلَى
مِلَّتِنَا وَفِي الْبَاطِنِ مُخَالِفُونَ.

ما المقصودُ بالمنافقين وباليهود والنصارى وبأئمة
الكفر وبالأعرابِ في القرآن الكريم؟

أخرج الحاكم في المستدرک عن عمران بن حصين
رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يحدثنا عامَّةً ليله عن
بني إسرائيل، لا يقومُ إلَّا لعظيمِ صلاةٍ².

1- صحيح البخاري، رقم: 7084؛ وصحيح مسلم، رقم: 1847.

2- رواه الحاكم في مستدرکه على الصحيحين، رقم: 3476، وقد تقدم.

فانظر يا رعاك الله كيف أنه من عادة النبي ﷺ أن يحدث أصحابه عن بني إسرائيل فترةً زمنيةً طويلةً من لياليه، وهذا إن دلّ فإنّما يدلُّ على خطر هؤلاء القوم، وفيه إرشادٌ للأمة بضرورة التعرفِ على بني إسرائيل؛ لأنَّ مَنْ لا يعرفُ الشرَّ لا يتقيه.

المنافقون

أنزلَ اللهُ تعالى سورةً كاملةً سُمِّيتْ بسورة "المنافقون"
(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ)
والمقصود أنَّهم وافقوا الحقَّ بظاهرِ أحوالهم، وخالفوا
بقلوبهم وأفعالهم!

وهم صنفان:

الأوَّل: الأتباع، كعبدِ اللهِ بنِ أُبيِّ ابنِ سلولٍ، وهؤلاء
طابت نفوسُهُم بوسوسة أهل الكتاب، واثتمروا
بأمرهم، واتخذوهم أولياء، وقد تمخَّضت معركةُ أحدٍ
عن حقيقةٍ عظيمةٍ، ألا وهي انكشاف العُصبة اللعينة
الَّتِي كانت تتوارى خلف ابنِ سلولٍ كما تتوارى
اليومَ خلف شركائها، فقد روى الطبراني في الأوسط
عن أبي حميد الساعدي أن النبي ﷺ خرج يوم أحد حتى

إذا جاوز ثنية الوداع إذا هو بكتيبة جيش فقال: (من هؤلاء؟) قالوا: هذا عبد الله بن أبي في ستمائة من مواليه من اليهود من بني قينقاع قال: (وقد أسلموا؟) قالوا: لا يا رسول الله قال: (مروهم فليرجعوا فإننا لا نستعين بالمشركين على المشركين)¹ وروى الإمام أحمد عن رِفاعَةَ الزُّرْقِيِّ قال: لما كان يومُ أحدٍ وانكفأَ المشركون، قال رسول الله ﷺ: (استَوْوا حَتَّى أُثْنِيَ على رَبِّي) فصاروا خلفه صُفُوفاً فقال: (...اللَّهُمَّ قاتِلِ الكُفْرَةَ الَّذِينَ يَكذِبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عن سَبيلِكَ، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللَّهُمَّ قاتِلِ الكُفْرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الكتابَ، إِلَهَ الحَقِّ)² ومن المعلوم أن ابن سلول الذي فرّ بثُلثِ الجيش لم يكن من أهل الكتاب.

1 - المعجم الأوسط، رقم: 5142.

2- مسند الإمام أحمد، رقم: 15492؛ ورواه البخاري في الأدب المفرد، رقم: 699.

والصَّنْفِ الْآخَرِ: الْمَتَّبِعُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الْمَعْلُونُونَ بِالْأَرَاخِيفِ، فَعُذِبُوا بِالْقَتْلِ وَالْإِخْرَاجِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ بَعْدَ انْكَشَافِ مَعْظَمِ أَحْوَالِهِمْ، كَزَيْدِ بْنِ اللَّصِيْتِ، وَأَزْرَ بْنِ أَبِي أَزْرٍ، وَرِفَاعَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ التَّابُوتِ، الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيْمَانَ وَأَبْطَنُوا الْكُفْرَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ وَرَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ هَاجَتْ رِيْحٌ شَدِيدَةٌ تَكَادُ أَنْ تَدْفِنَ الرَّكَّابَ، فَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (بُعِثْتُ هَذِهِ الرِّيْحَ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ) فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ¹.

قال ابن هشام: "فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد رفاعَةَ بنَ زَيدِ بنِ التَّابُوتِ ماتَ ذلكَ اليومَ الَّذي هبَّت

1- صحيح مسلم، رقم: 2782. وصحيح ابن حبان: رقم: 6500.

فيه الرّيح" ¹. اهـ. وكان رفاعه كهفأً للمنافقين من يهود بني قينقاع! وكان موته في العام السّادس، ولكن لم يُصلّ عليه النّبيّ ﷺ! وقد صلّى على ابن سلول في العام التّاسع، ونفت عليه من ريقه، وألبسه قميصه، وذلك قبل نزول آية النّهي، والسؤال المطروح: لماذا امتنع النّبيّ ﷺ عن الصّلاة على رفاعه مع أنّه لم يكن منهاها عن الصّلاة على المنافقين وقتها؟

والجواب: أنّ امتناع النّبيّ ﷺ عن الصّلاة على رفاعه الإسرائيليّ يشير إلى عظيم شرّ المنافقين من بني إسرائيل الذين نزلت عليهم الكُتب الإلهيّة، وعرفوا ما فيها، ثمّ عاندوا وخالفوا، وأنّهم أكثر شرّاً وأعظم ضرراً من المنافقين من بني إسماعيل، الذين لم تنزل عليهم الكتب الإلهيّة قبل القرآن؛ ولذلك كان رفاعه من عظماء المنافقين؛ لأنّه من بني إسرائيل ومثله رافع بن حُرَيْمَة...

1- سيرة ابن هشام: 528/1.

وقد روى الإمام أحمد عن جابر، قال: كان رسول الله ﷺ في سفرٍ، قال: فهبت ريحٌ شديدةٌ، فقال: (هذه لموتٍ منافقٍ) قال: فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات منافقٌ عظيمٌ من عظماءِ المنافقين¹.

وقد وصفهم الله عزَّ وجلَّ في مطلع سورة البقرة بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ ءَامِنُونَ وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

قال صاحب تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: قوله ﴿ومن الناس﴾ شروعٌ في بيان أن بعض من حُكيت أحوالهم السَّالفة ليسوا بمقتصرين على

1- مسند الإمام أحمد، رقم: 14378.

ما ذكر من محض الإصرار على الكفر والعناد، بل يضمون إليه فنوناً أُخِرَ من الشرِّ والفساد، وتعديدهُ لجناياتهم الشنيعة المستتعبة لأحوالِ هائلة عاجلة وآجلة¹. اهـ. والتعبير بقوله ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ دالٌّ على أنَّ ذلك في وقتٍ مخصوصٍ، وقوله ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ تضمَّن معنى الاستكانة والراحة والخلوص، وقد عدِّي هنا بـ: إلى ليشيرَ إلى أنَّ الخلوة كانت في مواضع ما بهم ومرجعهم، وأنَّ لقاءهم للمؤمنين إنما هو لمحاتٌ قليلة، وهذا من بديع فصاحة الكلمات، وقولهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ تقريرٌ لقولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؛ لأنَّهم إذا كانوا معهم كان ما أظهوره للمؤمنين على وجه الاستهزاء والتحقير والاستخفاف بهم وبدينهم وبرسولهم، فجملة ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ واقعةٌ في جواب سؤالٍ مُقدَّر، كأنَّ سائلاً يعجب من دعوى

1- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم): 39/1.

بقائهم على دينهم؛ لما أتقنوه من مظاهر النفاق في
مُعاملة المسلمين، ويسأل: كيف أمكن الجمع بين البقاء
على دينهم وإظهار المودّة للمؤمنين؟ فأجابوا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ
مُسْتَهْزِءُونَ﴾ وبه يتّضح وجه الإتيان بأداة القصر...،
ونظيرُ هذا في الآية ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا
إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ روى الشيخان عن أبي هريرة أنّه سمع
رسولَ الله ﷺ يقول: (إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهِينَ الَّذِي
يَأْتِي هَؤُلَاءِ بَوَّجِهِ وَهَؤُلَاءِ بَوَّجِهِ)¹، وفي حديث سيدنا
جبريل أنه قال: يا رسولَ الله حدّثني ما الإسلام؟ قال
رسولُ الله ﷺ: (الإسلامُ أن تُسَلِّمَ وَجْهَكَ لِلَّهِ، وتشهدَ
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ مُحَمَّدًا عبده
ورسوله) قال: فإذا فعَلْتُ ذلك فقد أسَلَمْتُ؟ قال: (إذا
فَعَلْتَ ذلك، فقد أسَلَمْتُ)² وروى الإمام مسلم عن

1- صحيح البخاري، رقم: 7179؛ وصحيح مسلم، رقم: 2526.

2- رواه الإمام أحمد، رقم: 2924.

ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمِينَ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً)¹. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "العائرة المترددة الحائرة لا تدري لأيهما تتبع، ومعنى تعير أي تردّد وتذهب"².

ونبه تعالى إلى خطورتهم في سورة المنافقون ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مٌسْنَدَةٌ يُحَسِّبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤَفِّكُونَ﴾ أي أنهم ذووا هياكل ضخمة وأشكالٍ وسيمةٍ، وألسنةٍ ذرّبةٍ، يستميلون الناس، فيصغون إليهم لحسن إبانتهم، وفصاحة كلامهم، مع تغريهم بادّعائهم العمل بالكتاب والسنة تمويهاً لحالهم على المسلمين. قال أبو حيان: ضمّن "يسمع" معنى

1- صحيح مسلم، رقم: 2784.

2- شرح النووي على مسلم: 128/17.

يُصْنَعُ وَيُمَلِّ تَعَدَّى بِاللَّامِ وَلَيْسَتْ زَائِدَةٌ فَيَكُونُ قَوْلُهُمْ هُوَ الْمَسْمُوعُ¹. رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلِّ مَنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ)².

وَالْعَجِيبُ أَنَّ لَفْظَ ﴿الْعَدُوُّ﴾ لَمْ يَأْتِ مُعْرَفًا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ سِوَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي تَشَخَّصُهُمْ بِصُورَةٍ فَاضِحَةٍ سَاخِرَةٍ تَوْجِبُ أَخْذَ الْحَذَرِ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ الْمَسْخُوحِ الْخَاوِي الْجَبَانَ الْحَاقِدِ الْمَاكِرِ الْكَامِنِ الْمُخْتَبِئِ فِي الصَّفِّ! وَالتَّعْرِيفُ فِي ﴿الْعَدُوُّ﴾ يَفِيدُ تَأْكِيدَ قَصْرِ صِفَةِ الْعَدَاوَةِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ قَصْرُ ادِّعَائِيٍّ مُجَازِيٍّ بِتَنْزِيلِ عَدَاوَةِ غَيْرِهِمْ فِي جَانِبِ عَدَاوَتِهِمْ مَنْزِلَةَ الْعَدَمِ، فَإِنَّ أَعْدَى الْأَعَادِي الْعَدُوَّ الْمَدَارِيَّ، وَتَحْتَ ضُلُوعِهِ الدَّاءُ الدَّوِيُّ! وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى رَتَّبَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ بِالْحَذَرِ مِنْهُمْ، وَالْمُرَادُ: الْحَذَرُ مِنْ

1- البحر المحيط: 180/10.

2- مسند الإمام أحمد 143.

الاغترار بظواهرهم الخَلَّابة؛ لئلا يخلص المسلمون إليهم
بسرِّهم، ولا يتقبَّلوا نصائحهم خشيية المكائد.

أهل الكتاب اليهود والنصارى

اسم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ في القرآن الكريم لقبٌ لليهود
ونصارى بني إسرائيل الذين لم يتدينوا بالإسلام، ومن
صار مؤمناً منهم لا يُوصف بأنه من أهل الكتاب في
اصطلاح القرآن الكريم؛ إذ إنَّهم صاروا مؤمنين،
فانسلخ عنهم وصف أهل الكتاب، وبقي الوصف
بذلك خاصاً بمن لم يؤمن منهم. أمَّا الذين تدينوا
باليهودية أو بالنصرانية من غير بني إسرائيل فهؤلاء
ليسوا بأهل كتابٍ كما روى الإمام البيهقيُّ عن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه قال: "ما نصارى العرب
بأهل كتاب، وما يحلُّ لنا ذبائِحهم، وما أنا بتاركهم

حتّى يُسلّموا أو أضرب أعناقهم¹. وروى البيهقي أيضاً عن عطاء قال: "ليس نصارى العرب بأهل الكتاب، إنّما أهل الكتاب بنو إسرائيل، والَّذين جاءتهم التّوراة والإنجيل، فأما من دخل فيهم من النّاس فليسوا منهم"². والإمام الشافعي رضي الله عنه قرر هذه المسألة في مواضع من كتابه الأم ومن ذلك قوله: وذكر الله عز وجل نعمته على بني إسرائيل في غير موضع من كتابه وما آتاهم دون غيرهم من أهل دهرهم، كان من دان دين بني إسرائيل قبل الإسلام من غير بني إسرائيل في غير معنى من بني إسرائيل أن ينكح لأنه لا يقع عليهم أهل الكتاب بأن آباءهم كانوا غير أهل الكتاب ومن غير نسب بني إسرائيل. اهـ.³ وقال الإمام الماوردي

1- السنن الكبرى للبيهقي رقم: 18798 ورقم: 19169.

2- السنن الكبرى للبيهقي 13987.

3- الأم للشافعي 193/4.

في الحاوي الكبير: وأما غير بني إسرائيل ممن دخل في اليهودية من النصرانية من العرب والعجم والترك فهم ثلاثة أصناف: صنف دخلوا فيه قبل التبديل كالروم حين دخلوا النصرانية، فهؤلاء كبنى إسرائيل في إقرارهم بالجزية وأكل ذبائحهم ونكاح حرائرهم لأن النبي ﷺ كتب إلى قيصر الروم كتاباً قال فيه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ الآية فجعلهم أهل الكتاب ولأن الحرمة للدين والكتاب لا للنسب فلذلك ما استوى حكم بني إسرائيل وغيرهم فيه. والصنف الثاني: أن يكونوا قد دخلوا فيه بعد التبديل فهؤلاء لم يكونوا على حق ولا تمسكوا بكتاب صحيح فصاروا إن لم يكن لهم حرمة كعبدة الأوثان في أن لا تقبل لهم جزية ولا يؤكل لهم ذبيحة ولا تنكح منهم امرأة. والصنف الثالث: أن يشك فيهم هل دخلوا فيه قبل التبديل أو بعده

كنصارى العرب كوجّ وفهر وتغلب فهؤلاء شك فيهم
عمر فشاور فيهم الصحابة فاتفقوا على إقرارهم بالجزية
حقنا لدمائهم وأن لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح
نساءهم لأن الدماء محقونة فلا تباح بالشك والفروج
محظورة لا تستباح بالشك، فهذا حكم أهل الكتاب من
اليهود والنصارى. اهـ. ¹ ومن المعلوم أنّه قد تنصّر
بعض العرب من بني إسماعيل كورقة بن نوفل كما جاء
في صحيح الإمام البخاريّ أنّه تنصّر في الجاهليّة وكان
يقرأ الإنجيل بالعربيّة. ² ومنهم من تهوّد كما روى
النسائيّ في السنن عن ابن عباس قال: كانت المرأة من
الأنصار لا يكون لها ولد تجعل على نفسها لئن كان لها
ولد لتهوّدنّه، فلما أسلمت الأنصار قالوا: كيف نضنع

1- الحاوي الكبير 222/9-223.

2- صحيح البخاري، رقم: 3392.

بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾¹ وذكر ابن إسحاق في السيرة أن جماعة من اليمن كانوا تهودوا لما غلب يوسف ذو نواس على اليمن فطرد عنها الحبشة، فجاء الإسلام وهم على ذلك. وقال ابن الأثير: فأما من دخل من العرب في دين اليهود والنصارى؛ فقد كان دخل في اليهودية من العرب قبل الإسلام: من حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، ودخل في النصرانية: من ربيعة وغسان². وذكر النسابون أن أهل نجران دخلوا في النصرانية برجل أتاهم من جهة ملوك غسان، فعلمهم إياها، وأن السيد والعاقب اللذين قدما على رسول الله ﷺ في وفدهما من ولد الأفعى بن الحصين بن تميم بن رهم بن مرة بن أدد

1- السنن الكبرى للنسائي، رقم: 10982.

2- الشافعي شرح مسند الشافعي لابن الأثير الجزري 590/3.

بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن
يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأما في هذا الزمان فإن عموم الداخلين في اليهودية
والنصرانية قد تحولوا إلى الإلحاد فصاروا كعبدة
الأوثان. وبالجملة فإن لفظ أهل الكتاب يُطلق في
القرآن الكريم على اليهود والنصارى من بني إسرائيل
الذين عُرفوا في عهد النبي ﷺ بقريظة والنضير وقينقاع
كما ذكر صاحب اللباب عن ابن عباس أنه قال: "أهل
الكتاب الذين كانوا ييثرب "وما حولها" وهم: قريظة،
والنضير، وبنو قينقاع"¹.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ
ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ
فَلْسِقُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ

1- اللباب في علوم الكتاب: 435/20.

مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ
وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ
﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ
خَرَجُوا بِهِ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وهذا الوصف
لا ينطبق على أتباعهم في الدولة العبرية أو الفرس
والرُّوم، ومعنى قوله: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ
خَرَجُوا بِهِ﴾ أي أن الإيمان لم يخالط قلوبهم طرفة عين؛
لشدة قسوة قلوبهم، فهم دخلوا به كافرين وخرجوا
كذلك.

أئمة الكفر

أخرج الحاكم وابن أبي شيبة والطبري وابن أبي حاتم وغيرهم عن حذيفة رضي الله عنه أنه قرأ ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾ فقال: (ما قُوتِلَ أهلُ هذه الآية بعدُ)¹. ولعله يشير إلى قتالهم في هذه المرحلة الزمنية.

قال قتادة: وهذه السورة - يعني سورة التوبة - كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة، يعني أنها فضحت المنافقين، وبعثت عن أخبارهم وأثارَتها، وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم. وقد أنزل الله فيها الإذن بقتالهم في قوله: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا

1- مستدرک الحاکم علی الصحیحین، حدیث رقم 332، وقال حدیث صحیح عی شرط البخاری ومسلم؛ ومصنف ابن أبي شيبة، رقم: 37148 واللفظ له.

يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ ﴿١٤﴾ والسُّورَةُ تشير إلى أَنَّ المعركة الطَّويلةَ الأمدِ
هي مع أهل الكتاب.

الأعراب

بنو إسرائيل نشئوا في البادية كما نصّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ وأشار النبي ﷺ إليهم في حديث جبريل عليه السلام عند ابن حبان في صحيحه: (إذا رأيت العالة الحفاة العراة يتطاولون في البناء وكانوا ملوكاً) قال: ما العالة الحفاة العراة؟ قال: (العريّب)¹ يعني الأعراب أهل البادية، قال القرطبي: المقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر². وقال ابن منظور: والعرب أهل الأمصار، والأعراب منهم سكان البادية

1- رواه ابن حبان رقم: 173 واللفظ له؛ وأحمد رقم: 17509.

2- فتح الباري 123/1.

خاصة¹. قال تعالى ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ وقال سبحانه ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۗ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۗ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ ومعنى مرَد على الأمر أي مرِن عليه ودرب به.

وهذا الوصف ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ ينطبق على قادة النِّفاق وأئمة الكفر الموصوفين في الصَّحَّاحين بالعبارات التَّالية: (رأس الكفر)، (الحفاة العراة)، (ملوك الأرض)، (رعوس النَّاس)، (قرنا الشَّيْطَان)، (الفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل)، (الفدَّادين) وهي منطبقة على آل سعود وآل الشَّيْخ.

وهؤلاء القوم يسعون أبداً إلى إيقاد الحرب والإفساد في الأرض؛ ليتسنّموا ذروة الاستبداد والجبروت سرّاً وعلانيةً، ويقهروا مَنْ حولهم من النَّاس، ويتحكّموا في

1 - لسان العرب 587/1.

رقابهم على أن يذعنوا لأمرهم، وينقادوا لجبروتهم،
مستغلين جهل الدُّهماء وسفاههم، فاستبدُّوا بمنابع الثروة
وخيرات الأرض، وجعلوا النَّاسَ عالةً عليهم، أكلوا
أموالهم بالباطل، وقدّموها عُربونَ مودَّةٍ لحلفائهم،
يلعبون بعقول النَّاسِ ويستعبدونهم؛ لأغراضهم
وشهواتهم وهم غافلون.

وصية الرسول الأعظم ﷺ

أخرج الشَّيْخَانُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: (اِتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا) فَتَنَازَعُوا وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَازُعٍ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ، أَهَجَرَ¹ اسْتَفْهَمُوهُ؟ فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: (دَعُونِي فَإِلَٰذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِّمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ) وَأَوْصَاهُمْ بِثَلَاثٍ، قَالَ: (أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثٍ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ

1- قال الإمام النووي في شرحه على مسلم: "وإنما جاء هذا من قائله استفهاماً للإنكار على من قال: لا تكتبوا، أي لا تتركوا أمر رسول الله ﷺ وتبعوه كأمر من هجر في كلامه؛ لأنه ﷺ لا يهجر" 93/11.

جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم)
وسكت عن الثالثة، أو قالها فنسيها¹.

قال الدَّأودي وابن التين: هي الوصية بالقرآن²، وفي الحديث دلالة على أن هؤلاء المشركين مصدر كل فتنة وضلالة، ومورد كل نزاع وبليّة، وأن خفاء أشخاصهم وغموض حالهم أصل كل تيه وحيرة، وسبب كل فساد وفرقة... ويبدو أن هذا الكتاب الذي هم أن يكتبه النبي ﷺ أراد أن ينص فيه على المشركين من بني إسرائيل ليرتفع النزاع عن الأمة ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه، وكان ﷺ هم بالكتاب حين أوحى إليه بذلك أو ظهر أن المصلحة تركه، وكلام عمر رضي الله عنه في الرواية الأخرى من الدلائل على فقهه وفضائله، ودقيق نظره، حيث قال: إن رسول الله ﷺ قد غلب

1- صحيح البخاري رقم: 4431؛ وصحيح مسلم، رقم: 1697.

2- فتح الباري لابن حجر العسقلاني: 135/8.

عليه الوَجَع، وعندكم القرآن، حسبنا كتابُ الله. فعلم
أنَّ الله تعالى حفظ دينه في القرآن الكريم، وأمن الضَّلال
على الأُمَّة.

فإن قيل: ما حُجَّتكم على أن المراد بالمشركين: يهودُ
ونصارى بني إسرائيل على وجه الخصوص؟ فالجواب:
ما دلَّت عليه الروايات الأخرى؛ ففي صحيح البخاريِّ
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن في
المسجد خرج النبي ﷺ فقال: (انطلقوا إلى يهود)
فخرجنا حتَّى جئنا بيتَ المدراس، فقال: (أسلمُوا
تَسلمُوا، واعلمُوا أنَّ الأرضَ لله ورسوله، وإنِّي أريدُ أن
أُجليكم من هذه الأرضِ فمَنْ يَجِدْ منكم بماله شيئاً
فليبعه، وإلَّا فاعلموا أنَّ الأرضَ لله ورسوله)¹ والخطاب
هنا لبني إسرائيل. وفي المعجم الكبير للطبراني:

1- صحيح البخاري، رقم: 3167؛ وصحيح مسلم رقم: 1765.

(أخرجوا اليهود من جزيرة العرب)¹ وفي مُسند البزار:
(أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب)² وفي
سُنن الترمذي: (لئن عشتُ إن شاء الله لأُخرجنَّ
اليهود والنصارى من جزيرة العرب)³ وفي صحيح
مسلم: (لأُخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب
حتى لا أدعَ إلَّا مُسلماً)⁴ وفي مُسند أحمد من حديث
عائشة رضي الله عنها قالت: كان آخر ما عهد رسولُ
الله ﷺ أن قال: (لا يُتركُ بجزيرة العرب دينان)⁵ وفي
السُنن الكبرى للبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله
عنه قال: لما افتتح رسول الله ﷺ خير دعا يهود فقال:

1- المعجم الكبير، للطبراني، رقم: 560.

2- مسند البزار، 230.

3- سنن الترمذي، رقم: 1606.

4- صحيح مسلم، رقم: 1767.

5- مسند الإمام أحمد، 26352.

(نعطيكم نصف الثمر على أن تعملوها، أقرُّكم ما أقرَّكم اللهُ عزَّ وجلَّ) ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوْفِّي فِيهِ: (لَا يَجْتَمِعُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٌ) فَأَجْلَاهُمْ سَيِّدُنَا عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ¹ بَعْدَ زَوَالِ دَوْلَتِهِمْ فِي الْوَعْدِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ عَادُوا إِلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ أَيَّامَ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَفِي النُّصُوصِ الظَّاهِرَةِ بِشَارَةِ بِتَحَقُّقِ الْوَعْدِ الْآخِرِ (فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْأَخِرَةَ) الْآيَةَ وَذَلِكَ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَا يُمْكِنُ تَخْصِيصُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَّا عَلَى وَجْهِ قِيَامِ دَوْلَةٍ تَحْكُمُ الْأَرْضَ، كَمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْإِخْرَاجُ مُحْصُورًا فِي بَقْعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْخِلَافَةِ وَالْحُكْمِ. وَقَدْ بَشَّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِفَتْحِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فِي صَحِيحِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ (فِي بَابِ مَا يَكُونُ مِنْ فَتْوحَاتِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الدَّجَالِ) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ -

1- السنن الكبرى للبيهقي، رقم: 11622.

وكان قد أسلم يوم فتح مكة - قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قَبْلِ
 الْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكْمَةِ،
 فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي
 نَفْسِي: أَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ
 قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ،
 قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدَيَّ، قَالَ:
 (تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا
 اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ
 فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ)¹ وهذا الحديث يُصَرِّحُ بِأَنَّ الْبَابَ لِجَمِيعِ
 الْفَتْوحَاتِ هُوَ فَتْحُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَلَا تُفْتَحُ فَارِسُ وَلَا
 الرُّومُ إِلَّا بَعْدَ غَزْوِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَتَطْهِيرِهَا مِنْ أُمَّةِ
 الْكُفْرِ، فَبِقَاؤُهُمْ صَمَامَ الْأَمَانِ لِفَارِسِ وَالرُّومِ، وَزَوَالِهِمْ
 إِسْفِينُ الْمَوْتِ لِلْفَرَسِ وَالرُّومِ. وَيَبْدُو أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ

1- صحيح مسلم، رقم: 2900.

سيختفون في فارس بعد تشريدهم ثم يخرجون مع
الدجال كما أشار الحديث عند الإمام مسلم: (يتبع
الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم
الطيالسة)¹ وروى الإمام أحمد والطبراني وأبو يعلى عن
أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال
من يهودية أصبهان معه سبعون ألفاً من اليهود عليهم
السيجان)² وفي مسند البزار: (يتبع الدجال سبعون ألفاً
من يهود أصبهان أو من يهودية أصبهان عليهم
الطيالسة)³ والله ورسوله أعلم.

1- صحيح مسلم، رقم: 2944.

2- مسند أحمد، رقم: 13344؛ الأوسط للطبراني، رقم: 4930؛ مسند أبي
يعلى، رقم: 3639.

3- مسند البزار، رقم: 6416.

بنو إسرائيل وفرعون

قال تعالى: ﴿كَذَّابٍ عَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾
الدَّابُّ: السَّيْرَةُ وَالْعَادَةُ وَالْعَمَلُ الَّذِي يَدَّابُّ عَلَيْهِ عَامِلُهُ
وَيَلْزِمُهُ وَيَكْرُرُهُ، وَمَوْقِعُ كَافِ التَّشْبِيهِ مَوْقِعُ خَيْرٍ لِمَبْتَدَأٍ
مَحْذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَشَبَّهُ بِهِ، وَالتَّقْدِيرُ: دَابُّ بَنِي
إِسْرَائِيلِ كَدَابِ آلِ فِرْعَوْنَ، أَيِ عَادَتِهِمْ وَشَأْنِهِمْ كَشَأْنِ
آلِ فِرْعَوْنَ، كَمَا حَكَى تَعَالَى فِي آلِ فِرْعَوْنَ:
﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ أَي: أَنَّ شَأْنَ بَنِي
إِسْرَائِيلِ الْآخِرِينَ كَمَثَلِ أَسْلَافِهِمْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ.

والمعنى: سيصير شأن بني إسرائيل كشأن آل فرعون
الأولين.

العلو الكبير لبني إسرائيل والإفساد الثاني

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ الآية تشير إلى حوادث
عظيمة بين بني إسرائيل وبين أُمَّة الإسلام.

وهذه الحوادث تنقسم إلى وعدين:

الأول: تندرج فيه حوادثهم مع سيّد الأولين والآخرين
عليه صلوات وسلام ربّ العالمين، وصحابته الغرّ
الميامين، في زمن البعثة.

والآخر حوادثهم مع أُمَّة الإسلام في هذه المرحلة.

وقوله: ﴿وَلْتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ أي في المرة الثانية، وهذا
 العلوُّ كعلوِّ فرعون في الآية ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ
 وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ
 وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ومعنى العلوِّ
 هنا: الكبر بأن يستشعر نفسه عالياً على موضع غيره
 ليس يساويه أحد، وأعظم ذلك الكبر: استهزاؤه بدين
 الله وشرعية رسله، وقد صُوِّرَتْ عظمة فرعون في الدنيا
 بقوله: ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ لتكون العبرة بهلاكه بعد ذلك
 العلوِّ أكبر العبر، وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ دالٌّ
 على شدة تمكن الإفساد من خلقه، ولفعل ﴿كَانَ﴾ إفادة
 تمكن خبر الفعل من اسمه فحصل تأكيدٌ لمعنى تمكن
 الإفساد من فرعون، وذلك أن فعله هذا اشتمل على
 مفسادٍ عظيمةٍ، منها: التَّكْبُرُ والتَّجَبُّرُ، فَإِنَّهُ مَفْسِدٌ
 نَفْسِيَّةٌ عَظِيمَةٌ تَتَوَلَّدُ مِنْهَا مَفَاسِدُ جَمَّةٍ مِنْ احْتِقَارِ النَّاسِ،
 والاسْتِخْفَافِ بِحَقُوقِهِمْ، وَسُوءِ مَعَاشِرَتِهِمْ، وَبِثِّ عِدَاوَتِهِ

فيهم، وسوء ظنه بهم، وأن لا يرقب فيهم سوى ما يرضي شهوته وحقده، وأن يبتز منافعهم لنفسه، ويُسخر من استطاع منهم لخدمة أغراضه، وأن يثبت الرعب في نفوسهم من بطشه وجبروته، ومنها: أنه استضعف طائفة على اعتبار العنصرية والقبلية فجعلها مُحقرة مهزومة الجانب لا مساواة بينها وبين فرق أخرى، وجعل أهل الأرض شيعاً وأحزاباً، لكل أمة دينها ومعتقدها، وفرق أهل الدين الواحد إلى فرق وأحزاب، على منوال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ وعلى منوال: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا﴾

لكل جماعة فيهم إمام* ولكن الجميع بلا إمام!

وجعل منهم شيعاً مقربين منه، ويفهم منه أنه جعل بعضهم بضد ذلك، وذلك فساد في الأمة؛ لأنه يُثير بينها التحاسد والتباغض، ويجعل بعضها يتربص الدوائر

ببعضٍ، وهكذا يذهب الزَّمان في مكائد بعضهم لبعضٍ،
فيكون بعضهم لبعضٍ فتنَةً، ومنها: أَنَّهُ خَدَعَ النَّاسَ
وموَّه عليهم، وغسل أدمغتهم، ولبس لهم الحقَّ بالباطل،
واستفززَ أهل الإيمان وطوَّعهم لخدمة مصالحه السِّياسيةِ
والاقتصاديَّةِ، ومنها: أَنَّهُ ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ وإِنَّمَا فعل
ذلك؛ لأنَّه أُخْبِر أَنَّهُ سيولد منهم مَنْ يَذْهَبُ بِمَلِكِهِ،
فاجتهد في إهلاكهم، وبعد مبعث موسى عليه السلام أوقع
الفتنة والحروب بينهم، وكان يأمر بقتل الرِّجال الذين
يَخَاف منهم الخُروجَ عليه، والتَّجمَع لإفساد أمره
حسبما نطق به قوله: ﴿قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ وقصده من
ذلك أن يكون النُّفوذ في الأرض له خاصَّةً، وقوله:
﴿وَيَسْتَحْيِئ نِسَاءَهُمْ﴾ أي يستبقي حياتهن؛ ليصرنَ بغايا،
وإذ كان احتقارُهُنَّ بصدِّ قومه عن التَّزوج بهنَّ فلم يبق
لهنَّ حظٌّ من رجال القوم إلَّا قضاء الشَّهوة، وباعتبار

هذا المقصد انقلب الاستحياء مفسدةً بمنزلة قتل الأبناء؛
إذ كُِّل ذلك اعتداءً على الحقِّ.

وقد وصف تعالى المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ ونظيره ما حكاه
سبحانه عن فرعون: ﴿إِنَّهُوَ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ واليوم
يُظهرون فسادهم بدعوتهم الوهابية التي لبسوا بها على
الناس الحقَّ بالباطل، فظهروا في مظهر الدُّعاة إلى
الإسلام، وهم في الحقيقة أعداؤه، كما قال تعالى:
﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾.

وقد بلغ بنو إسرائيل العلوَّ الكبير بعد قيام النظام الدولي
من خلال إنشاء حكومةٍ واحدةٍ تحكم العالم - الأمم
المتحدة - وتقوم على مؤسساتٍ عملاقةٍ تُغطي جميع
مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والأمنية والقضائية
والصحية والتعليمية والثقافية والإعلامية، ويتفرَّع عن

هذه المؤسسات فروعٌ في كُلِّ دولةٍ تتبع المؤسسات الأمّ، وتمارس نشاطها منضبطةً بقوانين تابعة لميثاق الأمم المتحدة! لا تخرج عنه أيُّ دولةٍ من الدُّول! فهناك مركزٌ، وهناك فروعٌ، والفروع تتبع النِّظام المفروض من المركز مع اختلافاتٍ طفيفةٍ حسب طبيعة الدُّول وعقليَّة الشعوب، لكن الخطوط العريضة تبقى ثابتةً فلا يمكن أن تتمرّد دولةٌ على النِّظام العالميِّ، أو ترفض التَّعامل بالعملة الورقيَّة أو المنهج التَّعليميِّ العالميِّ...

وهكذا فرض النِّظام العالميُّ نموذجَه السِّياسيِّ والاقتصاديِّ والأمنيِّ والإعلاميِّ والتَّربويِّ على جميع الدُّول، وانخرطت فيه جميع الشعوب طوعاً أو كرهاً، وصار من الصُّعوبة على أيِّ فردٍ أن يعيش خارج إطاره، ولضمان استمرار هذا النِّظام وضمان خضوع الشعوب له، وضع الفراعنة الجُدُد لشركائهم شكلاً جديداً لانتقال السُّلطة عبر ديمقراطيَّةٍ تحوّل دُون ثورة

الشَّعب، الَّذي أُوهموه بأنَّه هو من يحكم! ولا يمكن أن يثور الإنسان على نفسه أو على مَنْ اختاره ليمثِّله، ولو ثار فإنَّه سيَصُبُّ جام غضبه على حكومته، وحينها تتدخل الشَّياطين لتلبِّيَ له رَغباته وتحلَّ البرلمان، وتعيد انتخاباتٍ جديدةً، يتمُّ من خلالها تعبيده مرةً أخرى.

ودولة إسرائيل هي المخطَّطُ الأمُّ الَّذي تمَّ إخراجه للعالم، وقد عمل أهل الكتاب على إشغال المسلمين بالمسجد الأقصى، وإيقاد الحرب العالميَّة تمهيداً لإعلان ما أسموه بدولة إسرائيل! وتمكَّنوا من استنفار أتباعهم من جليد سيبيريا إلى أحرش إثيوبيا، وسوَّقهم إلى الأرض الموعودة على حسب زعمهم، وفق نبوءةٍ وضعوها لهم، لتتحوَّل إلى مصدر أفكارهم، ولتصبح هي الغاية والهدف التاريخيَّ العقائديَّ للعلوج، والرَّسالة المقدَّسة الَّتِي تحملها جيوشهم، ومِحورَ حركة تاريخهم كُله! والأصحُّ أن يُطلق عليها (دولة الشُّركاء) الَّتِي

ضَرَبَ الحَفَاةُ العِراةُ فِيهَا بِرِوَاقِهِمْ، وَنَصَبُوا حَبَائِلَهُمْ،
وَأَعْمَلُوا مَكَايِدَهُمْ وَمَخَاتِلَهُمْ، فَاضْطَرَبَ حَبْلُ الْإِسْلَامِ،
وَمَرَجَ عَهْدُهُ وَمَا جَ أَهْلُهُ، وَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ بَنِي
إِسْرَائِيلَ هُمْ هَؤُلَاءِ الْأَخْلَاطُ مِنَ الْخَزَرِ وَالْفَلَاشَا
وَالْأَشْكَنَازِ وَالسَّفَارْدِيمِ وَالدُّونْمَةِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَشْكُلُونَ
أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ قَوْمِيَّةً فِي فِلَسْطِينَ، نَاسِينَ أَوْ سَاهِينَ
عَنْ قَوْلِ الْحَبِيبِ الْأَعْظَمِ ﷺ: (رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَاهُنَا،
مِنْ حَيْثُ يُطْلَعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) يَعْنِي الْمَشْرِقَ¹.
وَالشَّيْطَانُ مَهْنَدِسُ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاتَّبَاعِهِمْ
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْكُفْرَ وَالشِّرْكَ، وَهُوَ الْقَائِلُ:
﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَي لِأَسْتَوْلِيَنَّ عَلَيْهِمْ
بشِدَّةِ احْتِيَالِي كَمَا يَسْتَوْلِي الْآكِلُ عَلَى مَا أَخْذَهُ فِي
حَنَكِهِ، وَالِاحْتِنَاكُ: وَضَعُ الرَّكَّابِ اللَّجَامَ فِي حَنَكِ
الدَّابَّةِ لِيرْكَبَهَا وَيَسِيرُهَا، فَهُوَ تَمَثِيلٌ لَجَلْبِ ذُرِّيَّةِ آدَمَ إِلَى

1- صحيح مسلم، رقم: 2905؛ ومسنَد الإمام أحمد رقم: 6249.

مراده من الإِشْرَاقِ بالله والإِفساد والإِغْواءِ بتسيير الدَّابَّةِ
على ما يريد راقبها.

حكومة الأمم المتحدة

هناك حكومة واحدة تحكم العالم اليوم، وهي حكومة الأمم المتحدة، وتضمُّ جميع دول العالم.

وقد اتَّخذ بنو إسرائيل شركاءً من الجنِّ والإنس ينازعون فيهم حكم الله في الأرض، وتَمَثَّل ذلك في ميثاق الأمم المتحدة.



ويقوم ميثاق الأمم المتحدة على السُّلطات الآتية:

1. الجمعية العامة: وتتألف من جميع أعضاء الأمم المتحدة وتناقش أي مسألة أو أمرٍ يدخل في نطاق هذا الميثاق.
2. مجلس الأمن الدوليّ: ويتألف من خمسة عشر عضواً من الأمم المتحدة منها خمسة أعضاء دائمين، وهم أمريكا وروسيا والصّين وبريطانيا وفرنسا، ويتعهّد وفق المادة 25 أعضاء الأمم المتحدة بقبول قرارات مجلس الأمن، وتنفيذها وفق هذا الميثاق. ومجلس الأمن وفق المادة 42 أن يتخذ بطريق القوَّات الجويَّة والبحريَّة والبريَّة من الأعمال ما يلزم لحفظ السُّلم والأمن الدوليّ، أو لإعادته إلى نصابه، ويجوز أن تتناول هذه الأعمال؛ المظاهرات.

3. المجلس الاقتصادي والاجتماعي: ويقوم بدراساتٍ وتقاريرٍ عن المسائل الدوليَّة في أمر الاقتصاد والاجتماع والثقافة والتَّعليم والصَّحة، ويمدُّ مجلس الأمن بما يلزم من المعلومات، وعليه أن يعاونه متى طلب إليه ذلك وفق المادة 65.
4. مجلس الوصاية الدوليَّة: ومهمَّته وضع وإخضاع الأقاليم تحت منظومة الأمم المتَّحدة.
5. محكمة العدل الدوليَّة: وهي الأداة القضائيَّة الرئيسيَّة للأمم المتَّحدة، ويتعهد كلُّ عضوٍ من أعضاء الأمم المتَّحدة وفق المادة 94 أن ينزل على حكم محكمة العدل الدوليَّة في أيَّة قضية يكون طرفاً فيها.
6. الأمانة العامَّة: حيث يكون لها أميناً عاماً بناءً على توصية مجلس الأمن. والأمين العام للأمم المتَّحدة هو الموظف الإداريُّ الأكبر في

هيئة الأمم المتحدة وعليه أن ينبّه مجلس الأمن
وفق المادة 99 إلى آية مسألة يرى أنّها تُهدّد
حفظ السّلم والأمن الدّوليّ.

وصدق في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ
وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾
وقرئ ﴿لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

اتباع سنن بني إسرائيل

القرآن الكريم يصحّ المفاهيم السائدة لدى النَّاس من تبعية الحفاة العراة للغرب، وهذه ظنونٌ فاسدةٌ ومائلةٌ عن الحقِّ، بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والآثار أنَّهم ملوك الأرض، ومن هنا يتبيّن معنى الحديث المتفق عليه: (لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِيراً بشير، وذراعاً بذراع، حتّى لو دخلوا جُحراً ضَبُّ تَبِعْتُمُوهُمْ)، قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: (فَمَنْ؟)¹. يعني فمن يكون غيرهم؟ والسَّنَنُ: بضم السين جمع سُنَّةٍ، والمراد: طرقهم ومناهجهم وسبل أفعالهم التي ابتدعوها من تغير دينهم. وفي نسخة بفتح

1- صحيح البخاري، رقم: 7320؛ وصحيح مسلم، رقم: 2669.

السَّيْنِ أَي: عَلَى مَنَوَالِهِمْ وَطَبَق حَالِهِمْ. وَالْمَعْنَى - وَاللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ الْمَشْهُورُونَ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ، فَإِذَا أُطْلِقَ "مَنْ قَبْلَكُمْ" فَهِيَ الْمُرَادُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ
كَانَ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، فَكَانَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأُمَّمِ
كُلًّا شَيْءٌ فِي الْإِعْتِبَارِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ
النَّبَوِيُّ "مَنْ قَبْلَكُمْ" فَالْمُرَادُ بِهِمْ: يَهُودٌ وَنَصَارَى بَنِي
إِسْرَائِيلَ كَمَا جَاءَ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ: (لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلَ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جُحْرًا ضَبًّا لَتَبِعْتُمُوهُمْ فِيهِ) وَقَالَ
مَرَّةً: (لَتَبِعْتُمُوهُ فِيهِ)¹. وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ شِدَّةِ الْمَوَافَقَةِ لَهُمْ
فِي أُمُورِ الدِّيَانَاتِ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا بِأَصُولِهَا وَفُرُوعِهَا، لَا
فِي ظَاهِرِ الْكُفْرِ الَّذِي وَضَعُوهُ لِفَارِسٍ وَالرُّومِ، كَأَنَّهُ قِيلَ:
مَتَّبِعُونَ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَأَنْتُمْ تَقْتَفُونَ آثَارَهُمْ وَتَتَّبِعُونَهُمْ
فِيمَا أَحْدَثُوا لَكُمْ مِنَ الْأُمُورِ وَالْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ كَمَا

1- مسند أحمد، رقم: 11897.

اتبعتهم فارس والروم في العوائد والعقائد التي اختلقوها لهم، ويؤيده ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في باب قول النبي ﷺ: "لتبعن سنن من كان قبلكم" حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي بأخذ القرون قبلها، شرباً بشرب، وذراعاً بذراع) فقول: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: (ومن الناس إلا أولئك؟)¹ وفي رواية الأصيلي: (بما أخذ القرون قبلها) وفي رواية الإسماعيلي: كما فعلت فارس والروم؟ والمعنى: لا تقوم الساعة حتى تسير أمي بسير بني إسرائيل كما وقع لفارس والروم، أو أن بني إسرائيل سنوا في الفرس والروم عوائد؛ ليغزوا بها أذهان المسلمين، ومفهوم الحديث يدل على اتباع أمته ﷺ سنن بني إسرائيل،

1- صحيح البخاري، رقم: 7319.

كما فعلت الأمتان المشهورتان؛ لأنَّ مُلك البلاد منحصرٌ في بني إسرائيل، وجميع من عداهم من الأمم تحت حكمهم، وهو مما فهمه البخاريُّ؛ إذ خرَّجه في باب: ذكر بني إسرائيل. والخلاصة أنَّهم ليسوا تبعاً للغرب كما يتبادر إلى أذهان العموم، بل الغرب تبعٌ لهم، والله ورسوله أعلم. والضَّبُّ معروف في جزيرة العرب، والتَّشبيهه بـجُحره لشدَّة ضيقه وردائه وتنت ريجه وخبثه، وقد عافه النَّبيُّ ﷺ، كما جاء في الصَّحيحين: أنَّ حُفَيْدَةَ بنت الحارث قَدِمَت من نجد بضبِّ، فرفع ﷺ يده عنه¹. وأخرج الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله قال: أُتِيَ رسول الله ﷺ بضبِّ، فأبى أن يأكلَ منه، وقال: (لا أدري لعلُّه من القرون الَّتِي مُسِخَتْ)² وفي

1- صحيح البخاري، رقم: 5391؛ وصحيح مسلم، رقم: 1946، كلاهما عن خالد بن الوليد رضي الله عنه بنفس المعنى مطوَّلاً مرفوعاً.

2- صحيح مسلم، رقم: 1949.

رواية: (ذُكِرَ لِي أَنَّ أُمَّةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُسَخَّت) ¹
وفي رواية: (إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ - أَوْ: غَضِبَ - عَلَى سِبْطٍ مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَسَخَهُمْ دَوَابَّ يَدْبُونَ فِي الْأَرْضِ، فَلَا
أَدْرِي لَعَلَّ هَذَا مِنْهَا، فَلَسْتُ آكُلُهَا، وَلَا أَهْمِي عَنْهَا) ²
ويبدو أَنَّ ذَلِكَ السَّبْطَ مُسَخَّ عَلَى إِثْرِ دُخُولِهِمْ جَزِيرَةَ
العرب قبل البعثة بنحو ثلاثة قرونٍ! وآلَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَنْ
صَارُوا ثَلَاثَةَ أَسْبَاطٍ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ وَقَيْنِقَاعَ! ثُمَّ
اسْتَأْصَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَنِي قُرَيْظَةَ وَبَقِيَ بَنُو النَّضِيرِ وَبَنُو
قَيْنِقَاعَ.

1- صحيح مسلم، رقم: 1951.

2- انظر تخريج الحديث السابق.

الحفاة العراة يتظاهرون

بالإسلام!

هذه القوة الظاهرة لبني إسرائيل تكمن في تظاهرهم
بالإسلام كما حكى تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا
تُتَفَوُّا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِّنَ
اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ والمعنى ألزموا الذلة أي القتل والأسر
وسبي الذراري وأخذ المال وإلحاق الصغار، وثبتت تلك
الذلة فيهم فلا خلاص لهم منها أين ما ثقفوا، والثقف:
الحذق والفطنة والفهم في إدراك حقيقة حالهم كقوله
تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ولأجل ذلك حرصوا

على تغيير أنسابهم، وإخفاء حقيقتهم؛ إذ لو انكشف أمرهم لبطل سحرهم، ولزال سلطانهم، ولتلاشى ملكهم. وفُسرَّ حيل الله بالإسلام، وحيل الناس بالشركاء، والاستثناء ظاهره الانقطاع، ويحتمل أن يكون متصلاً مُفْرَغاً من أعمِّ الأحوال، والمعنى على النَّفي، أي لا يَسْلَمون من الذلَّة في حالٍ من الأحوال، إلَّا في حال تظاهرهم بالإسلام واعتصامهم بالشركاء، وأمَّا هم في أنفسهم فلا نصر لهم؛ لأنَّ البُنية النَّفسيَّة المفكَّكة والجِبِلَّة الهابطة المتداعية أبت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التي خلقوا من أجلها... ولما أخبر المولى سبحانه أنَّ هؤلاء القوم سيكون لهم علوٌّ كبيرٌ، وقوَّةٌ ظاهرةٌ يُحسَب حسابها، فقد تكفَّل القرآن بتهوين شأنهم في نفوس المسلمين، وإبراز حقيقتهم الضَّعيفة بسبب كفرهم وجرائمهم وعصيانهم وتفرُّقهم شيعاً وِفْرَقاً، وما كتب الله عليهم من الذلَّة التي تبدو

وتظهر بإبراز حقيقتهم ونزع أقنعتهم حين ينكشفون من رداء الإسلام ودروع الشركاء، والذي دعاهم إلى التظاهر بالإسلام في حال كفرهم: أَنَّهُمْ مُتَّصِفُونَ بِصِفَةِ الْجُبْنِ، كما قال: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ والفرق: الخوف الشديد، واختيار صيغة المضارع للدلالة على التجدد، وأن ذلك وصفهم، ومقتضى الاستدراك في قوله: ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْكُمْ أَي كَافِرُونَ، فحذف المستدرك استغناءً بأداة الاستدراك، وذكر ما هو كالجواب عن ظاهر حالهم من الإيمان بأنه تظاهر باطل، وبأن الذي دعاهم إلى التظاهر بالإسلام: أَنَّهُمْ مُتَّصِفُونَ بِصِفَةِ الْجُبْنِ فَيَفْرُقُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فحصل إيجازٌ بديعٌ في الكلام؛ إذ استُغنيَ بالمذكور عن جملتين محذوفتين، وحذف متعلق ﴿يَفْرُقُونَ﴾ لظهوره، أي يخافون من عداوة المسلمين لهم وقتالهم إياهم أو إخراجهم، ولذلك

يدسُّون أنفسهم في الصِّفِّ، لا عن إيمانٍ واعتقادٍ، ولكن
عن خوفٍ وتقيَّةٍ، وعن طمعٍ ورهبٍ، ثمَّ يخلفون أنَّهم
من المسلمين!

وقد وصفهم رسولُ الله بصفاتٍ ثلاثٍ، كما جاء في
حديث أبي هريرة عند الحاكم وصحَّحه: (ثمَّ يأتي من
بعد ذلك زمانٌ يجادلُ المنافقُ الكافرُ المشركُ بالله المؤمنَ
بمثلِ ما يقولُ)¹ وروى الإمام الدَّارميُّ عن زيادِ بن
حُدَيْرٍ قال: قال لي عمرُ بن الخطَّاب: هل تعرفُ ما
يهدمُ الإسلامَ؟ قلت: لا، قال: (يهدمُهُ زَلَّةُ العالمِ،
وجدالُ المنافقِ بالكتابِ، وحُكْمُ الأئمَّةِ المضلِّينَ)².

وروى الإمام أحمد عن أبي ذرٍّ قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ
يقول: (غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخَوْفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ)

1- جزء من حديث أخرجه الحاكم في مستدرکه على الصحيحين، رقم:
8633.

2- سنن الدَّارمي، رقم: 220.

قلت: يا رسول الله، أيُّ شيءٍ أخوفُ على أُمَّتِكَ من الدَّجَالِ؟ قال: (الأئمةُ المضلِّين)¹.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ وقد تقدّم معنى قوله تعالى ﴿فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ ويكشف لنا المولى سبحانه صورة مُزرية مُنفرة وهم يتلوّنون كالحيات والشعابين ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والمنافق على صورة الشيطان، فإنه لا يأتي المؤمن على أنه عدوه، وإنما يأتيه على أنه صديقه، ويظنُّ أن يتخلص للمخادعة! يحسب التلّون قوةً، والمكر السيِّئ براعةً، وهو في حقيقته ضعفٌ وخسّةٌ! وهذه الصِّفة ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ للمنافقين وحدهم، بدليل قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾

1- مسند الإمام أحمد، رقم: 21297.

والمراد بالكافرين: شركاؤهم؛ إذ لا حظاً لبني إسرائيل في الحرب. والتربُّص: انتظار حصول شيءٍ لغير المنتظر، وترقب ما يحدث له، وتفصيله قوله: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ...﴾ وجعل ما يحصل للمسلمين فتحاً، ونُسب إلى الله؛ لأنَّه مُقَدَّرُهُ ومريده بأسباب خفية، ومعجزات بيّنة، وجعل ما يحصل لهم من الفوز في القتال نصيباً تحقيراً له. ومعنى ﴿وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي نمنعكم من أن ينالكم بأس المؤمنين من خلال تشكيل معسكراتٍ بين صفوفهم؛ لإمساك العصا من الوسط، والتَّجسُّس عليهم، وإلقاء الأراجيف والفتن بين جيوشهم، ومحاولة التَّحَكُّم بقادتهم...

وما هم سوى مَنْ عرفناهمو* وإنَّ غَيْرُوا خِيَلَهُمْ وَالْخَوْلُ
فَعَبْدُ الْخَنَا، نَفْسُ عَبْدِ الْخَنَا* وَإِنْ غَيَّرَ الشَّكْلَ وَاسْمَ الْحُلْلِ
وقوله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾
تثبيتٌ للمؤمنين؛ لأنَّ مثل هذه الأخبار عن دخائل

الأعداء وتألَّبهم، مِنْ عدوٍّ مجاهرٍ بكفره، وعدوٍّ مصانعٍ مُظهِرٍ للأُخوةِ، وبيان هذه الأفعال الشَّيْطَانِيَّةِ البالغةِ أَقصى المكر والحيلة يُثير مخاوفَ في نفوس المؤمنين، وقد يُخَيِّلُ لهم مَهَاوي الخيبة واليأس في مستقبلهم، فكان من شأن التَّلَطُّفِ بهم أن يعقَّبَ ذلك التَّحذِيرَ بالشَّدِّ على العضد، والوعدَ بِحُسن العاقبة، فوعدهم الله بأن لا يجعلَ للكافرين وإنْ تَأَلَّبَتْ عَصَابَاتِهِم واختلفتِ مناحي كفرهم سبيلاً على المؤمنين، والمراد بالسَّبِيلِ طريقَ الوصول إلى المؤمنين بالهزيمة والغلبة؛ بقريئة تعديته —: على؛ ولأنَّ سبيلَ العدوِّ إلى عدوِّه هو السَّعي إلى مضرَّته.

فإن قيل: إذا كان وعداً لم يَجُزْ تخلفه، ونحن نرى الكافرين ينتصرون على المؤمنين انتصاراً بيِّناً، وربَّما تملَّكوا بلادهم، فكيف تأويل هذا الوعد؟ قلنا: المقصود من المؤمنين: الَّذِينَ عَقَلُوا كِتَابَ رَبِّهِمْ وَكَلَامَ نَبِيِّهِمْ،

ولم يستعينوا بعدوهم، وتوكلوا على ربهم، ولو استقام
المؤمنون على ذلك لما نال الكافرون منهم منالاً،
ولدفعوا عن أنفسهم خيبة وخبالاً...

لقد حرص أهل الكتاب كُلَّ الحرص على رفع لافتة
إسلامية على الدول والحركات والأحزاب والأفكار
التي يقيمونها ويطلقونها، ثمَّ يُعلنون الحرب عليها لسحق
الإسلام في أرجاء الأرض؛ لتكون هذه اللافتة الخداعة
مانعةً من الانطلاق الحقيقي لمواجهة الجاهلية القابضة
وراء تلك اللافتة الكاذبة! وكثيرٌ من المسلمين
يُخدعون! ومن هؤلاء كثيرٌ من الدعاة إلى الإسلام في
الأرض! فيتحرّجون من وصف أوضاعهم بصفتها
الحقيقية، ويتحرّجون من وصف الحفاة العراة بما
وصفهم به الله ورسوله؛ لأنَّ هؤلاء الدعاة رسخ في
عقولهم أنَّ رأس الكفر أمريكا أو الدولة العبرية!

وَكُلُّ هَذَا يَجُولُ دُونَ الْإِنطِلَاقِ الْحَقِيقِيِّ الْكَامِلِ لِمُوَاجَهَةِ
جَاهِلِيَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُوَاجَهَةً صَرِيحَةً لَا تَحْرُجُ فِيهَا وَلَا
تَأْتُمُّ مِنْ وَصْفِهَا بِصِفَتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ الْوَاقِعَةِ! وَبِذَلِكَ تَقُومُ
تِلْكَ اللَّافِتَةُ بِعَمَلِيَّةٍ تَحذِيرٍ خَطِيرَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى وَجْهِ
الْخُصُوصِ لِلْمُجَاهِدِينَ، كَمَا تَقُومُ حَاجِزاً دُونَ الْوَعِيِّ
الْحَقِيقِيِّ وَدُونَ الْإِنطِلَاقِ الْحَقِيقِيِّ لِمُوَاجَهَةِ جَاهِلِيَّةِ أَهْلِ
الْكِتَابِ!

إِنَّ أَوَّلَ خَطَوَاتِ الْإِنْتِصَارِ هِيَ صِنَاعَةُ الْوَعِيِّ، وَأَوَّلُ
خَطَوَاتِ هَذَا الْوَعِيِّ أَنْ تَعِيَ الْأُمَّةُ رِسَالَتَهَا وَتَعْرِفَ
عَدُوَّهَا وَتَقْطَعَ ارْتِبَاطَهَا بِالشَّائِشَاتِ، فَتَدْرِكُ أَنَّهَا أُسِيرَةٌ
مَنْظُومَةٌ وَهِيَ عَالِمِيَّةٌ، يَدِيرُهَا الْحَفَاةُ الْعِرَاةُ السَّفَلَةُ
الرِّعَاعُ! وَإِنَّ نَقْطَةَ الْبَدْءِ هِيَ تَعْرِيةُ الْمُجْرِمِينَ مِنَ الرِّدَاءِ
الزَّائِفِ، وَإِظْهَارِهِمْ عَلَى حَقِيقَتِهِمْ شِرْكَاً وَكُفْراً،
وَتَحذِيرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا
خَبَالًا وَلَا أَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ

سَمَّعُونَ لَهُمْ) فهؤلاء لو خرجوا في المسلمين ل زادوهم
اضطراباً وفوضى، ولأسرعوا بينهم بالوقية والتفرقة
والتخذي، وفي المسلمين من يسمع لهم، وهذا أمرٌ
مُشاهدٌ في جميع الثورات والحركات الجهادية...

فرعون وهامان

السُّلْطَةُ السِّيَاسِيَّةُ وَالِدِّيَّةُ أَفْرَادُهَا يَقْتَسِمُونَ الْأَدْوَارَ،
وَهُمْ مَتَّفِقُونَ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي كُلِّ مَا يَأْتُونَ وَمَا
يَذَرُونَ! وَهَذَا الْأَمْرُ مُطَرَّدٌ عِنْدَ الْفِرَاعِنَةِ الْقُدَامَى،
فَالسُّلْطَةُ الدِّيْنِيَّةُ تُعْطَى الشَّرْعِيَّةَ لِلْسُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ.

وَهَاهُمْ الْفِرَاعِنَةُ الْجُدُدُ أَصْحَابُ مِيثَاقِ الدَّرْعِيَّةِ
يَقْتَسِمُونَ الْأَدْوَارَ، فَيَنْصَبُ آلُ الشَّيْخِ شِبَاكَهُمُ الْعَقْدِيَّةَ،
وَفِي الْمَقَابِلِ يَنْصَبُ آلُ سَعُودِ شِبَاكَهُمُ السِّيَاسِيَّةَ،
وَيَضْرِبُونَ الْأُمَّةَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ! يَتَّخِذُونَ مَنَابِرَ الْإِسْلَامِ
وَالتَّوْحِيدِ وَالْجِهَادِ ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ،
وَيَحْلِفُونَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَى! يَتَسَمُّونَ بِالسَّلْفِيَّةِ لِهَوَى
فِي أَنْفُسِهِمْ، وَيَأْتُونَ بِصُورِ الطَّاعَاتِ مَعَ فِسَادِ النِّيَّاتِ،
وَهُمْ أَهْلُ إِرَادَاتٍ فَاسِدَةٍ، اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَأَخَذُوا فِي

تسوية نصوص الكتاب والسنة عليها؛ غياً مع العلم
بالحق! يعقدون رايات جهادية عمية مُضللة هنا وهناك،
يضربون بها رقاب المجاهدين بعضهم ببعض، ثمَّ ينفقون
أموالهم لأصحاب الأديان والمذاهب الباطلة التي
أنشئوها إيقاداً للحروب بينهم وبين المسلمين،
ويكيدون الدسائس والمؤامرات، ويثيرون الفتن،
ويلبسون الأمر على ضعفه الأنام فيحرفونهم عن جادة
التوحيد والإسلام.

كتاب الله هو المنجي من

الفتن

روى الدارقطني وأحمد والبزار وأبو يعلى بألفاظ متقاربة عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أتاني جبريل فقال يا محمد: إن الأمة مفتونة بعدك، قلت له: فما المخرج يا جبريل؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم وهو قول فصل ليس بالهزل إن هذا القرآن لا يليه من جبار فيعمل بغيره إلا قصمه الله ولا يبتغي علماً سواه إلا أضله الله ولا يخلق عن رده وهو الذي لا تفتى عجائبه من يقل به يصدق ومن

يحكم به يعدل ومن يعمل به يؤجر ومن يحكم به
يقسط)¹.

والم تأمل لهذا الكتاب العزيز والناظر فيه يلاحظ أنه
يلفت الأنظار إلى المسجد الحرام ويُذكر القارئ بين
الفينة والأخرى بمكانة هذا البيت ويُحرّض المؤمنين على
تطهيره ويُرشدهم إلى تحريره بل إن معظم سور القرآن
تتحدّث عن هذا البيت بالتصريح أو بالتلميح والتلويح
بينما الأقصى لم يُذكر سوى مرة واحدة مقترناً بذكر
المسجد الحرام! وهذا يعني أن المشكلة ابتداء هي في
تلك البقاع المعظمة.

1- انظر كنز العمال رقم: 889، 1/176؛ وانظر جامع الأحاديث رقم:
1/203، 325.

الفهرس

5	تمهيد
8	يا بني إسرائيل
18	نفاق بني إسرائيل
16	مقدمة
29	مرحلة الملك الجبري
32	القرآن الكريم
37	حديث جبريل عليه السلام
62	الشيطان وقرنه
83	نجد
91	بنو إسرائيل
112	المنافقون
123	أهل الكتاب اليهود والنصارى

131	أئمة الكفر
134	الأعراب
138	وصية الرسول الأعظم ﷺ
146	بنو إسرائيل وفرعون
148	العلو الكبير لبني إسرائيل والإفساد الثاني
158	حكومة الأمم المتحدة
163	اتباع سنن بني إسرائيل
168	الحفاة العراة يتظاهرون بالإسلام!
178	فرعون وهامان
181	كتاب الله هو المنجي من الفتن
185	الفهرس

<https://thelastpromise.org/>